مجلة جامعة حمص

سلسلة العلوم التاريخية والاجتماعية والجغرافية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 48 . العدد 5

1448 هـ - 2026 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (600) ل.س ستمئة ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (2000) ل.س الفا ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (150) ل.س مئة وخمسون ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
السّلطان ظهير الدّين محمد بابر مؤسّس الدّولة المغوليّة في الهند (1526-1530م)	كينا رقيه د. إبراهيم علاء الدين د. علاء الدين جبور	30-11
المنشآت المعمارية في العهد الأغلبي (184-296ه/ 800- 909م) من التعددية الوظيفية إلى التكامل المنظومي والجمالي	حسن فطراوي	62-31
العلاقات البينية بين المكونات السكانية في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي: دراسة تاريخية اجتماعية	حسن فطراوي	100-63
الظروف السياسية والدبلوماسية الممهدة لمعاهد يافا (626ه/1229م) في عهد الملك الكامل الأيوبي	حسن فطراوي	122-101
أثر التحديات المناخية في تطور علم الريافة في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط هندسة المياه الجوفية بين النظرية و التطبيق)	سماح ادريس أ.د. سلمان شحادة	147-123

السّلطان ظهير الدّين محمد بابر مؤسّس الدّولة المغوليّة في الهند (1526–1530م)

*طالبة الدّكتوراه: كينا خليل رقيه

**المشرف الرئيسي: د.إبراهيم علاء الدين

***المشرف المشارك: د. علاء الدين جبور

قسم التّاريخ – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة اللاذقيّة

ملخص

يُعدّ السلطان ظهير الدين محمد بابر (1526–1530م) مؤسس الدولة المغولية في الهند، وقد جمع بين المهارة العسكرية والاهتمام بالثقافة والعمران. بدأ بابر مسيرته السياسية في آسيا الوسطى، ثم اتجه إلى الهند بعد استقراره في كابل. وفي عام 1526م خاض معركة بانيبات الأولى ضد السلطان إبراهيم لودي، وتمكن من هزيمته والاستيلاء على دلهي وأكرا. واصل بابر توسيع نفوذه، فحقق انتصارًا مهمًا على قوات الراجبوت بقيادة رانا سانكا في معركة خانوا عام1527م، ثم انتصر على خصومه الأفغان في معركة ككرا سنة 1529م. وأسهمت هذه الانتصارات في تثبيت حكمه في شمال الهند وتأسيس الإطار السياسي للإمبراطورية المغولية .أما إنجازاته المدنية، فاهتم بابر بتطوير المدن والحدائق، وأدخل نمط الحدائق الفارسية الهندسية المعروفة بـ«جهار باغ»، كما شُيّد في عهده مسجد كابولي باغ في بانيبات. وكان بابر أيضًا أديبًا ومؤرخًا؛ فقد كتب مذكراته الشهيرة «بابرنامه»، التي سجل فيها تفاصيل حياته وحروبه .

الكلمات المفتاحية: السّلطان بابر – الهند – معركة بانيبات – الراجبوت – الأفغان.

* طالبة دكتوراه، في قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سوريا. البريد الإلكتروني: Kina.ruqayya@Latakia-univ.edu.sy

** أستاذ مساعد في قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سوريا. البريد الإلكتروني: Ibrahimaladin62@gmail.com

*** أستاذ مساعد في قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة اللاذقية، سوريا. البريد الإلكتروني: Alaajabbour500@gmail.com

Sultan Zahir al-Din Muhammad Babur, Founder of the Mughal Empire in India (1526–1530 AD)

*PhD Candidate: Kina Khalil Rokieh

**Primary Supervisor: Dr. Ibrahim Alaeddine

**Co-Supervisor: Dr. Alaeddine Jabbour

Department of History Faculty of Arts and Human Sciences

Lattakia University

ABSTRACT

Sultan Zahiruddin Muhammad Babur (1526–1530 CE) is considered the founder of the Mughal Empire in India; he combined military prowess with a passion for culture and urban development. Babur began his political career in Central Asia, then turned his attention to India after establishing himself in Kabul. In 1526 CE, he fought the First Battle of Panipat against Sultan Ibrahim Lodi, defeating him and capturing Delhi and Agra.Babur continued to expand his influence, achieving a significant victory over the Rajput forces led by Rana Sanga at the Battle of Khanwa in 1527 CE, and then defeating his Afghan opponents at the Battle of Gagra in 1529 CE. These victories helped consolidate his rule in northern India and lay the political foundation for the Mughal Empire.As for his civil achievements, Babur focused on developing cities and gardens; he introduced the Persian geometric garden style known as "Chahar Bagh," and the Kabul Bagh Mosque in Panipat was built during his reign. Babur was also a writer and historian; he wrote his famous memoir, the *Baburnama*, in which he recorded the details of his life and his wars.

Keywords: Sultan Babur – India – Battle of Panipat – Rajputs – Afghans.

* Ph.D. student in the Department of History, College of Arts and Humanities, University of Latakia, Syria. Email: Kina.ruqayya@Latakia-univ.edu.sy

** Assistant Professor in the Department of History, College of Arts and Humanities, University of Latakia, Syria. Email: Ibrahimaladin62@gmail.com

*** Assistant Professor in the Department of History, College of Arts and Humanities, University of Latakia, Syria. Email: Alaajabbour500@gmail.com

المقدمة :

يُعدّ السلطان ظهير الدين محمد بابر من أبرز الشخصيات السياسية والعسكرية في تاريخ شبه القارة الهندية، إذ ارتبط اسمه بتأسيس الدولة المغولية التي أصبحت فيما بعد واحدة من أعظم الإمبراطوريات في تاريخ الهند. وينحدر بابر من سلالة تيمورلنك من جهة أبيه، ومن سلالة جنكيز خان من جهة أمه، وقد جمع بين الطموح السياسي والحنكة العسكرية والقدرة على بناء دولة جديدة في بيئة اتسمت بالصراعات والانقسامات السياسية. وبعد سنوات من الصراع والتنقل بين بلاد ما وراء النهر وأفغانستان، استطاع بابر أن يوجّه طموحه نحو الهند، حيث خاض عدداً من المعارك الحاسمة، كان أبرزها معركة بانيبات سنة 1526م، التي انتصر فيها على السلطان إبراهيم لودي، ومهّدت لقيام حكمه في الهند.

ولا تقتصر أهمية بابر على كونه فاتحاً عسكرياً، بل تتمثل مكانته التاريخية في وضع الأسس السياسية والعسكرية والإدارية للدولة المغولية، التي واصل خلفاؤه، توسيع نفوذها وترسيخ مؤسساتها. ومن هنا تبرز أهمية دراسة شخصية بابر وسيرته السياسية والعسكرية، لفهم الظروف التي أحاطت بتأسيس الدولة المغولية، والعوامل التي أسهمت في نجاحه في تحويل انتصاراته العسكرية إلى بداية كيان سياسي استمر لقرون. ويتناول هذا البحث أهم فتوحاته ومعاركه، ودوره في تأسيس دولة المغول وترسيخ دعائمها وأهم إنجازاته المدنية.

أهمية البحث:

يعد هذا البحث من الأبحاث المهمّة الّتي تعطي صورة واضحة حول فترة حكم السّلطان بابر، والّتي بدأت معه الدّولة المغوليّة بتأسيس نفسها، والظّهور على مسرح السّياسة بعد سلسلة من الاضطرابات الّتي عصفت بها.

كما يبرز البحث مكانة السّلطان بابر في التّاريخ الّتي ترتكز على غزواته في الهند، الّتي مهّدت لقيام دولة قويّة في شبه القارّة الهنديّة، حكمها عدد من الأمراء من نسله، أكثر ممّا ترتكز على مخاطراته الجريئة وجهوده الّتي بذلها في الأعوام الأولى من حياته أو على سيرته الّتي كتبها بنفسه.

يعد السّلطان بابر ثالث غازي مسلم يدخل الهند بعد محمود الغزنوي ومحمد الغوري، ولكن يفوقهما شجاعة وإقداماً، فإذا كان محمود الغزنوي قد غزا الهند بمائة ألف مقاتل، واستند على ملك امتدّ من سمرقند وخراسان إلى الهند، وكان يرافق محمد الغوري مائة وعشرين ألف مقاتل، وامتدّ ملكه إلى خراسان، فإنّ بابر غزا الهند بأربعة عشر ألف مقاتل فقط وليس له ملك مستقر، والأهم في هذه المقارنة أنّ الغزنوي والغوري ارتدّا عن حكم هذا البلد، فيما صمّد بابر أمام العواصف.

سبب اختيار البحث :

يعود سبب اختيار هذا الموضوع لمدى أهميّة فترة حكم السّلطان بابر، إذ نجح في تأسيس دولة عظمى في الهند واستطاع أن يواجه الأخطار الدّاخلية في مملكته، متمثّلة في الأمراء الأفغان والرّاجبوت الّذين تحالفوا ضدّه؛ لكن بابر تمكّن من دحرهم، فكان لهذا النصر أثره الكبير على مستقبل دولة المغول في الهند.

أهداف البحث:

ويمكن تلخيص أهداف البحث فيما يلي:

1- معرفة الأوضاع السّياسية في الهند قبل دخول السّلطان بابر.
2- معرفة أهميّة معركة بانبيات ونتائجها.
3- تسليط الضّوء على الصّعوبات الّتي واجهت بابر في تأسيس دولته الجديدة في الهند.
4- معرفة إنجازات بابر المدنية.

إشكالية البحث:

1- كيف أثّرت الأوضاع الدّاخلية المضطربة في الهند على سقوط الهند بين السّلطان بابر؟
2- ما أهميّة معركة بانيبات؟ وإلى أي مدى نجحت في ترسيخ أقدام السّلطان بابر في الهند؟

منهجيّة البحث:

اعتمد هذا البحث على منهج البحث التّاريخي القائم على دراسة المراجع والمصادر، وجمع المعلومات، من ثمّ تنسيقها، واستخدامها في هذه الدراسة.

الدراسات التي تم الاعتماد عليها:

1- كتاب مذكرات بابر المعروفة باسم (بابر نامه) أو (وقائع بابري) للمؤلف بابر(ترجمة ماجدة مخلوف)، يُعد الكتاب من أهم المصادر لدراسة السلطان ظهير الدين محمد بابر، مؤسس الدولة المغولية في الهند لأننا لا نتعامل مع مؤرخ كتب عن بابر بعد وفاته، بل مع كتاب كتبه بابر نفسه عن حياته وتجربته السياسية والعسكرية والشخصية، والكتاب في جوهره سيرة ذاتية ومذكرات سياسية وعسكرية، يتناول بابر فيه نشأته وحياته، وصراعه على السلطة منذ صغر سنه، وعلاقاته وصراعاته مع الأمراء التيموريين وحملاته العسكرية في أفغانستان ثم في شمال الهند، تكمن أهمية الكتاب في أن المؤلف نفسه هو السلطان بابر الذي عاش بين 1483 – 1530م، ويغطي الكتاب أجزاء كبيرة من حياته حتى عام 1529م أي قبل وفاته بفترة قصيرة.

2- كتاب منتخب التواريخ للمؤلف عبد القادر بن ملوك شاه البدايواني، هو من المصادر المهمة في تاريخ الهند المغولي، يتكون الكتاب في صورته المعروفة من ثلاثة أقسام: القسم الأول: تاريخ السلاطين المغول في الهند وينتهي بأخبار بابر، القسم الثاني: تاريخ عهد السلطان أكبر، القسم الثالث: تراجم الشيوخ والعلماء والأطباء والشعراء وغيرهم من الشخصيات التي عرفها المؤلف، يتضمن المجلد الأول أخبار بابر لكنه يرويها من منظور مؤرخ عاش في عهد حفيده أكبر وليس شاهد عاصر بابر، لأن البدايوني ولد بعد وفاة بابر بنحو عشر سنوات ولذلك فهو ليس مؤرخاً معاصراً لبابر ولا شاهد عيان على عهده.

3- كتاب تاريخ فرشته المعروف باسم كَلشن إبراهيمي للمؤرخ محمد قاسم هندوشاه أسترآبادي المشهور بفرشته، ألّف الكتاب في أوائل القرن السابع عشر الميلادي، والكتاب تاريخ عام للهند وليس كتاباً خاصاً بالبابريين، يقع السلطان بابر في القسم الخاص بسلاطين دلهي والمغول، كتب فرشته كتابه في أواخر القرن السادس عشر وأوائل القرن السابع عشر أي أن فرشته ليس مؤرخاً معاصراً لبابر ولم يكن شاهد عيان على أحداث بابر في الهند، لكن المسافة الزمنية ليست كبيرة جداً؛ فالكتاب كُتب في الفترة التي كان فيها أحفاد بابر مازالوا يحكمون الهند، ولهذا يُعتبر الكتاب مصدراً قريب من عصر السلطان بابر.

4- كتاب طبقات أكبري للمؤلف نظام الدين أحمد البخشي ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، هو من المصادر المهمة لتاريخ الهند، وله قيمة خاصة عند دراسة الدولة المغولية وعهد السلطان ظهير الدين محمد بابر، يبدأ الكتاب من الفتوحات الإسلامية المبكرة في الهند ويمتد إلى أواخر عهد السلطان أكبر، والكتاب ليس سيرة لبابر وحده، وإنما يضع أخبار بابر ضمن سلسلة تاريخية واسعة، والجزء الأول من الكتاب يتضمن قسماً خاصاً ببابر وغيره من السلاطين وصولاً إلى عصر أكبر، وبدأت كتابة الكتاب في عهد أكبر، وانتهى المؤلف منه في أواخر القرن السادس عشر لذلك الكتاب لا يُعد مصدراً شاهداً عياناً على بابر بل مصدر متاخر نسبياً ولكنه مهم لاعتماده على عدد من المؤلفات التاريخية السابقة.

5- كتاب تاريخ دولة أياطرة المغول الإسلامية في الهند للمؤلف جمال الدين آلشيال، يُعد الكتاب مفيداً جداً لمن يريد دراسة السلطان ظهير الدين محمد بابر، ولكن الكتاب ليس مصدراً أصلياً من عصر السلطان بابر، وإنما دراسة تاريخية حديثة تعتمد على المصادر الأصلية، والكتاب دراسة موجزة لتاريخ الدولة المغولية في الهند منذ تأسيسها على يد بابر، وتظهر أهمية الكتاب في أنه لا يقتصر على الأحداث السياسية، بل يحاول أيضاً إبراز الحضارة والنظم والأوضاع العامة للدولة، ويخصص الكتاب الفصل الأول كاملاً لبابر، ويوفر الكتاب مرجعاً تاريخياً حديثاً يساعد في فهم الروايات ومقارنتها وتنظيمها.

6- كتاب تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم للمؤلف أحمد محمود الساداتي، مهم جداً لفهم تاريخ الدولة المغولية في الهند، ومن ضمنها عهد السلطان بابر، والكتاب عمل تاريخي واسع في جزأين، ويتناول تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، وليس سيرة بابر وحده، الجزء الأول

يتحدث عن تاريخ المسلمين في الهند منذ الفتح العربي وما تلاه من قيام الدولة المغولية والجزء الثاني يتحدث عن الدولة المغولية في الهند وما تلاها حتى مرحلة التقسيم، يأتي ذكر بابر في بداية الجزء الثاني بوصفه مؤسس الدولة المغولية الهندية، والكتاب لا يقتصر على الأحداث السياسية، بل يعرض أيضاً الحضارة الإسلامية في الهند وآثار المسلمين ونظمهم وحكمهم، للكتاب قيمة جيدة كمصدر تاريخي حديث ثانوي لدراسة السلطان بابر، وخصوصاً لفهم وصول بابر إلى الهند ومعركة بانيبات ومعركة خانواه، ونجاحه في تأسيس الدولة المغولية في الهند.

المناقشة:

أولاً: العلاقة بين ضعف سلاطين الهند ونجاح بابر[1] في غزو الهند :

شهدت الهند تدهوراً في أوضاعها السياسية والاقتصادية، نتيجة النزاعات والخلافات بين عدد من الولايات الهندية، وفقدت الحكومة المركزية قدرتها في المحافظة على وحدة البلاد لذلك كانت الهند فريسة سهلة لأي قائد طموح ومستعد للسيطرة عليها .[2]

كانت سلطنة دلهي[3] تحت حكم إبراهيم اللودي تعاني من ضعف شديد وفوضى سياسية نتيجة سياسته المستبدة والشكاكة تجاه كبار القادة والأمراء، وأدى ضعف الإدارة المركزية إلى تراجع الكفاءة العسكرية وافتقار الجيش إلى الولاء الحقيقي للسلطان، مما أضعف وحدة الدولة وقدرتها على مواجهة الأخطار الخارجية وقد أعلن معظم حكام الولايات الاستقلال التام عن الحكومة وتآمروا ضد سلطانهم إبراهيم اللودي، ووصل الانقسام إلى ذروته عندما قام بعض الأمراء مثل دولت خان اللودي حاكم البنجاب[4] وعلاء الدين علم خان اللودي عم السلطان إبراهيم بمراسلة بابر ودعوته لدخول الهند والإطاحة بإبراهيم اللودي.[5]

[1] بابر (1526–1530): مؤسس إمبراطورية مغول الهند وسليل القائد تيمورلنك من جهة أبيه، واسمه الكامل ظهير الدين محمد بابر ابن عمر الشيخ ملك فرغانة ويلقب ببابر ومعناه النمر، تولى العرش وعمره اثنتا عشرة سنة بعد وفاة

ثانياً: حملات بابر الأولى لفتح الهند :

حاول بابر غزو الهند خمس مرات، ولم تكن الأربع الأولى أكثر من مجرد حملات استطلاعية، فقد خرج في عام 1519م من عاصمته كابل[1] إلى الهند عن طريق بيشاور[2] فاقتحم بجور بعد أن ضربها بالمدفعية، وأقبل عليه زعماء القبائل يعلنون ولاءهم المطلق له، فبسط نفوذه بذلك على مناطق واسعة، ثم عبر إلى بهيرة فوافق أهلها على دفع جزية من دون قتال.

أبيه، واستطاع أن يؤسس دولة قوية في الهند استمرت حتى عام 1857م. النمر. عبد المنعم: تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت_لبنان، ط1، 1401هـ / 1981م، ص 233،236.

[2] جاكسون. بيتر: سلطنة دلهي، تعريب: فاضل جتكَر، مكتبة العكبيان، الرياض، ط1، 2003م، ص 560.

[3] دلهي: تقع دلهي شمالاً على شاطئ نهر جمنا، وهي عاصمة الهند منذ القرون الغابرة وظلت عاصمة المسلمين قرابة ألف سنة وفيها آثار إسلامية رائعة مثل المسجد الجامع والقلعة الحمراء. الندوي، محمد إسماعيل: الهند القديمة حضارتها وديانها، دار الشعب، القاهرة– مصر، د.ط، 1970م، ص 16.

[4] البنجاب: لفظ مركب من (بنج) ومعناه الخمس ومن (آب) ومعناه الماء، والمقصود به بلاد تسقيها الأنهار الخمسة المشهورة في الهند، وهي: (جهلم، جناب، راوي، بياس، ستلج). الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت: 1341هـ):الهند في العهد الإسلامي. مراجعة وتقديم: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار عرفات، الهند، د.ط، 2001م، ص 80.

[5] بخشي. نظام الدين أحمد: المسلمون في الهند، من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني وهو ترجمة لكتاب طبقات أكبري، ج1، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م، ص 274،275

[1] كابل: تقع شرق أفغانستان على نهر كابل، استولى بابر عليها عام 1504م وجعلها نقطة الإنطلاق الحقيقية و القاعدة العسكرية لحملاته على الهند. الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت: 626هـ)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت_لبنان، ج4، 1995م، ص 426.

[2] بيشاور: تقع بالقرب من ممر خيبر الذي يربط بين باكستان وأفغانستان. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي: الإعلام بمن في تاريخ الهند من أعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، دار ابن حزم، بيروت_لبنان، ج5، 1999م، ص 487.

[3] الساداتي. أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة– مصر، ج1، 2001م، ص 216، 217.

[4] فرشته. محمد قاسم، تاريخ فرشته المسمى بـ (كلشن إبراهيمي)، بومباي، ج1، 1831م، ص 379،381.

[5] بدخشان: إقليم جبلي استراتيجي يقع شمال العاصمة كابل. البغدادي، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن (ت: 739هـ)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجبل، بيروت_لبنان، ج3، 1412هـ، ص 212.

وأرسل بابر في آذار عام 1519م (الملا مرشد) مبعوثاً إلى دلهي يطلب من سلطانها إعادة الأملاك في البنجاب إليه بوصفها كانت تحت حكم أجداده، إلا أن أمير البنجاب دولت خان اللودي سجن مبعوثه ولم يطلقه .[3]

فشل بابر في غزو الهند بسبب تأثر جيشه بحرها الشديد ما أثر على مقدرتهم العسكرية، فاضطر إلى التفاهم مع سلطان دلهي ورَدّ إليه جميع الأملاك في البنجاب وعاد إلى كابل.[4]

خرج بابر في حملته الثانية لغزو الهند في أيلول فعبر ممر خيبر وأخضع بعض قبائل الأفغان، ووصل إلى بيشاور في محاولة للاستيلاء عليها، غير أن نشوب الاضطرابات في بدخشان[5] أجبره على العودة إلى كابل من دون أن يحقق هدفه.[1]

بعد عودة بابر خرج أهالي بهيرة على حكمه وطردوا نائبه عليها، كما ثار سكان بجبور، فغادر كابل في عام 1520م إلى الهند في حملته الثالثة، ليعيد الأمور إلى نصابها وبعد أن عاقب الثائرين وبسط سيطرته على المناطق الثائرة؛ هاجم سيالكوت واستولى عليها ثم توجه إلى سيدبور وسيطر عليها، ومرة أخرى اضطر بابر أن يقطع حملته على الهند ويعود مسرعاً إلى بلاده لنشوب اضطرابات في قندهار[2].[3]

أقتنع بابر بأنه لا يستطيع فتح الهند قبل تقوية قاعدة ملكه فيها، ولهذا سيطر على قندهار وانتزعها من يد الأفغان لتكون مركزاً من مراكز الدفاع وعين عليها ابنه كمران ميرزا، كما أعاد بسط سيطرته على بدخشان وعين عليها ابنه همايون[4].[5]

---

[1] بابر. ظهير الدين: بابر نامه "وقائع فرغانة"، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م، ص 389.

[2] قندهار: مدينة من بلاد السند، والقاعدة العسكرية والاستراتيجية لتأمين ملك بابر ومفتاح العبور الآمن لغزو الهند. الحسني، عبد الحي بن فخر الدين: الهند في العهد الإسلامي، ص 96.

[3] فرشته. محمد قاسم: تاريخ فرشته المسمى بـ (كلشن إبراهيمي)، ص 382.

[4] همايون (1530 – 1556م): ثاني أباطرة مغول الهند، تولى العرش خلفاً لوالده بابر، وقد واجه صعوبات وانشقاقات أدت إلى فقدانه لملكه مؤقتاً بعد أن ساعده الشاه الصفوي طهماسب الأول، وقد حكم الهند في فترتين الفترة الأولى (1530 – 1540م) والثانية (1555 – 1556م). المشهداني. ياسر عبد الجواد: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر، الأردن، ط1، 2010م، ص 199.

[5] بابر. ظهير الدين، بابر نامه (وقائع فرغانة)، ص 430.

خرج بابر في حملته الرابعة لغزو الهند في عام 1524م، وقد شجّعه على ذلك طلب دولت خان أمير البنجاب المساعدة منه ضد تعسف سلطان دلهي إبراهيم اللودي ولم يتردد بابر عن غزو الهند مرة أخرى، وبخاصة أنه اطّلع على أوضاعها الداخلية المضطربة وعلى ما تتمتع به من ثروات وغنى، فطمع في إقامة دولة كبيرة له في ربوعها، فخرج من كابل باتجاه لاهور[6]، وفي هذه الأثناء خرج إبراهيم لودي على رأس جيش لتأديب دولت خان وإبعاده عن البنجاب، فاصطدم بابر به بالقرب من لاهور وانتصر عليه ثم دخل لاهور وأحرقها وتوجه إلى ديبالور واستولى عليها، وانضم إليه دولت خان فيها وقد ظنَّ أنه بعد هذا الانتصار الكبير على سلطان دلهي أن يعود بابر إلى بلاده ويترك الهند لحلفائه من أهلها، لكن هالهُ ما قام به بابر من إجراءات في المناطق التي سيطر عليها والتي تثبت أقدامه فيها، لذلك ثار دولت خان عليه وراح يتآمر ضده حتى كاد يوقع به، وانتهى أمره بأن سجن مع بعض أولاده وأتباعه بعد أن انكشفت نُواياه وتابع بابر إلى دلهي.[1]

نجح دولت خان بالفرار من سجنه وعندما علم بابر وهو في الطريق إلى دلهي بفرار دولت خان، عاد إلى لاهور خشية من أن يقطع عليه خط الرجعة وترك على البنجاب حامية عسكرية لإقرار الأمن والاستقرار.[2] وعندما علم دولت خان برحيل بابر نزل من الجبال التي اختبأ فيها وهاجم سلطان بور وديبالور لاستعادة نفوذه على كامل البنجاب غير أنه تعرض للهزيمة على يد الحامية العسكرية في سيالكوت، وفي هذه الأثناء، أرسل إبراهيم لودي قوة عسكرية كبيرة للتخلص من الثائرين والغزاة في البنجاب غير أن هذه القوة هُزمت، وفي الوقت ذاته، زار عالم خان كابل ودخل في تحالف مع بابر على أن يساعده في تولي عرش دلهي مقابل حصوله على البنجاب،[3]أمر بابر قادته أن يسيروا مع عالم خان فإذا نجحوا في دخول دلهي أجلسوه على عرشها، ولكن الأمير اللودي لم يطمئن قلبه للقوة المغولية المساندة له فقرر التفاهم مع دولت خان، ودخل في مفاوضات معه اتفق الطرفان فيها على تقسيم البلاد فيما بينهم فيأخذ دولت خان المناطق الواقعة غربي دلهي، أما دلهي وأگرا[4] فتكون من نصيب عالم خان، وسار الطرفان إلى دلهي فتصدت لهما قوات إبراهيم اللودي وهزمتها وفر عالم

---

[6] لاهور :تقع شمال شرق باكستان، وكانت الموقع الاستراتيجي والعسكري الذي انطلقت منه حملات بابر إلى الهند . الحسني.عبد الحي بن فخر الدين: الهند في العهد الإسلامي، ص 112.

خان ناجياً بنفسه، وهرب عدد كبير من القادة إلى الجبال، في حين فضل عدد آخر منهم الانضمام إلى قوات دلهي.[5]

معركة بانيبات[1] (1526م) :

دفعت التطورات العسكرية بابر للخروج بحملته الخامسة إلى الهند، فخرج من كابل في تشرين الثاني عام 1525م على رأس جيش كبير يبلغ تعداد اثني عشر ألف مقاتل في حملة للفتح والاستقرار، وما إن بلغ شاطئ نهر جهلم حتى أرسل قوة استطلاعية إلى لاهور لتقصي أخبار دولت خان، فاصطدمت بقواته وهزمته ثم دخل بابر حصن بلوت معقل خصمه واستولى على أمواله وكنوزه، وما لبث دولت خان أن توفي في سجنه بقلعة بهيرة.[2]

تابع بابر تقدمه باتجاه دلهي وعسكر في بلدة سرهند وأرسل قوة استطلاعية لتستطلع أخبار إبراهيم اللودي، ولكن أنباء دخول بابر إلى الهند وانتصاراته العظيمة وصلت إلى مسامع إبراهيم لودي فقّرر التصدي له، وخرج على رأس مائة ألف مقاتل وعسكر في سهل بانيبات.[3]

قرر بابر الدخول في معركة فاصلة مع عدوه، فزحف إلى بانيبات وعسكر في مواجهته، وعبأ قواته وأقام سياجاً من العربات المتصلة معززة بالأسوار والخنادق وقد ترك فيها ثغرات تسمح للجند بالخروج للقتال منها، وبعد ثمانية أيام التحم الطرفان في معركة حاسمة صباح 21 نيسان 1526م تقرر بنتيجتها مصير الهند، وأسفرت المعركة عن انتصار بابر ومقتل إبراهيم لودي في المعركة وهزيمة جيشه.[4]

بعد انتصار بابر في بانيبات دخل دلهي وسط ترحيب السكان والأمراء وأرسل ابنه همايون وعدد من

---

[1] الساداتي. أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص 218.

[2] بابر. ظهير الدين : بابر نامه (وقائع فرغانة)، ص 443 ، 444.

[3] فرشته. محمد قاسم، تاريخ فرشته المعروف بـ (كلشن إبراهيمي)، ص 385.

[4] أكرا: تقع جنوب شرق دلهي، وتعد من أهم المدن الهندية لوجود تاج محل فيها . الحسني. عبد الحي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، ص 90

[5] بابر. ظهير الدين ، بابر نامه (وقائع فرغانة)، ص 444 ، 445.

[1] بانيبات : تقع بالقرب من دلهي، وتعد موقعاً تاريخياً هاماً دارت على أرضها ثلاث معارك حاسمة غيّرت تاريخ الهند، معركة بانيبات الأولى 1526م بين السلطان بابر وإبراهيم اللودي، معركة بانيبات الثانية 1556م بين السلطان أكبر

قادته إلى أگرا مقر اللوديين فاستولوا على أموالهم وذخائرهم.[1]

أهمية معركة بانيبات :

تعد معركة بانيبات من بين أشهر المعارك في التاريخ، فقد وضعت حداً لحكم الأمراء الأفغان في الهند، وكانت إيذاناً ببدء الحكم المغولي في الهند بقيادة بابر.[2]

ثالثاً: الصعوبات التي واجهت بابر في تأسيس دولته الجديدة في الهند:

لم يكن جلوس بابر على عرش دلهي يعني خضوع سلطنة دلهي لحكمه، لأن الأمراء الأفغان من حكام الولايات اللودية أدركوا أن انتصار بابر لم يكن سوى مقدمة للسيطرة على بلادهم والقضاء على نفوذهم وسلطانهم، وظل قسم منهم يحتفظون بإقطاعاتهم ورفضوا الخضوع لبابر وانضم بعضهم الآخر إلى الراجبوت الهندوس، وتهيأ لهؤلاء تحصين مراكزهم وتقوية نفوذهم في الوقت الذي كان فيه بابر منشغلاً بتوزيع الغنائم.[3]

حروبه مع الراجبوت[4] والأفغان :

معركة خانواه (1527م) :

ظهر منذ أيام السلطان إبراهيم لودي رانا سنگرام سنك المعروف بـ (رانا سنكا) صاحب ميوار، أشهر

وقوات هيمو، معركة بانيبات الثالثة 1761م بين إمبراطورية المارثا وأحمد شاه الابدالي الأفغاني. الحوارنة. أحمد محمد: المعارك الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، د.ط، د.ت، ص 131.

[2] بخشي. نظام الدين: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني وهو ترجمة لكتاب طبقات أكبري، ج1، ص 280 ،281.

[3] بخشي. نظام الدين أحمد: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني وهو ترجمة لكتاب طبقات أكبري، ج1، ص 282 ، 286.

[4] بابر. ظهير الدين: بابر نامه (وقائع فرغانة)، ص 474 ، 479.

[1] فرشته. محمد قاسم: تاريخ فرشته المعروف (كلشن إبراهيمي)، ص 386.

أمراء الراجبوت والهندوس[1] وأكثر نفوذهم الطامع بتولي عرش دلهي كلها وطرد المسلمين منها بدافع النزعة الدينية، ولتحقيق هدفه دعم قواته وعزز موارده العسكرية بحيث أصبح أكثر الأمراء الهند نفوذاً وقوة، وبخاصة بعد أن وسع مملكته وزاد من عدد قواته حتى بلغت مائة وعشرين ألف جندي وخمسمائة فيل، واعترف له العديد من الأمراء بالسيادة وقدموا له الطاعة والولاء[2] .اتصل رانا سنكا ببابر قبل زحفه على الهند وتعهد له بمساعدته، لاعتقاده أن بابر بعد أن يقضي على حكم اللوديين الأفغان سيعود إلى بلاده فيخلوا له الجو ويحقق أهدافه، ولكنه عند علم بأهداف بابر الحقيقية راح يعّد العُدة لمقاومته والتصدي له، وبدأ رانا سنكا أعماله العسكرية مستغلاً انشغال بابر بالقضاء على الفتن والاضطرابات في المناطق الشرقية وحول العاصمة، فاستولى على حصن كهندار وهاجم بيانة وانتزع دهلبور وكالبي، ثم راح يؤلب الأمراء الأفغان ضد بابر ويدعوهم إلى الانضمام لجبهته، فاستجاب له عدد كبير من الأمراء الراجبوت,وأخذوا يستعدون للزحف على أكرا.[3]

وعند علم بابر بالحلف الراجبوتي قرر التصدي لهذا الخطر الذي يهدد انتصاراته، فخرج من أكرا في شباط 1527م وتوجه إلى سكرى، وهي قرية صغيرة قريبة من فتح بور، وعسكر أعداءه في خانواه، وهو مكان يبعد عشرة أميال عن سكرى، فعسكر بابر في مواجهتهم ثم أخذ يحصن مواقعه بسلسلة من العربات المتصلة وبحفر الخنادق وإقامة المتارس.[4] بدأت المعركة في صباح يوم 17 آذار واستمرت حتى غروب الشمس، وأسفرت عن انتصار بابر وهزيمة حلف الراجبوت وهروب رانا سنكا من أرض المعركة بعد إصابته بجروح بالغة وتشتت جيشه وقُتل عدد كبير من قادته.[5]

---

[2] الساداتي. أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص 219.

[3] الشيال. جمال الدين، دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد – مصر، ط1، 2001م، ص 26.

[4] الراجبوت: تعني أبناء الملوك، والراجبوت هم من أقدم عروق شبه القارة الهندية، ويزعمون أنهم حفدة الآريين القدماء . لوبون. غوستاف: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت، ص 509.

[1] الهندوس: هم أتباع الديانة الهندوسية ويسكن معظمهم في الهند، يؤمن الهندوس بعودة الروح بعد الموت إلى جسد آخر بناءً على الأعمال السابقة التي ارتكبها الإنسان، ويعتبرون البقرة حيواناً مقدساً ورمزاً للخير، وإذا ماتت تدفن باحترام مع أعظم الطقوس الدينية. شلبي. أحمد: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 2000م، ص 38 – 45. الخطيب. محمود أحمد: مقارنة الأديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1428هـ / 2008م، ص 393 ، 398.

[2] بدواني. عبد القادر بن ملوك شاه: منتخب التواريخ، كلكتا، ج1، 1868م، ص 338.

معركة تشاندري[1] (1528م) :

تجمع الأمراء المنهزمين من جديد تحت قيادة مديني راو صاحب حصن تشاندري، لاستعادة سلطانهم على الهند، وقد حاول بابر في بداية التفاهم معهم، فعرض على مديني راو إقطاع شمس أباد بدلاً من تشاندري غير أنه رفض هذا العرض، فاضطر بابر الخروج بنفسه لقتاله في 29 تشرين الثاني 1528م ونجح جنوده في اقتحام الحصن على الرغم من متانة أسواره وقوته، وبعد معركة عنيفة قُتل مديني راو واستولى بابر على حصن تشاندري.[2]

معركة ككرا (1529م) :

بلغ بابر أنباء عن زحف الأمراء الأفغان باتجاه الشرق بقيادة محمود لودي (أخ السلطان إبراهيم لودي) في محاولة لاستعادة عرش دلهي وفرض سيطرتهم على إقليم بهار وعلى عجل توجه بابر إلى الشرق لمواجهة الموقف المتأزم وإخضاع الثائرين في إقليم بهار، ولم يكد يقترب من هذا الإقليم حتى فرّ الأعداء هاربين، فأخضع جزءاً منه وغادر الإقليم بحلول فصل الشتاء مما يعيق العمليات العسكرية، مما أعطى فرصة للثائرين أن يجددوا انتفاضتهم في العام التالي.[3]

نجح محمود لودي بما لديه من قوات بلغت مائة ألف جندي أن يستعيد إقليم بيهار وبعض المناطق المحيطة به، فأرسل بابر قوة عسكرية للتصدي له بقيادة ابنه عسكري فدخل الله أباد[4] وتشونار

---

[3] بخشي. نظام الدين أحمد: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني وهو ترجمة لكتاب أكبري، ج1، ص 286 ،288.

[4] بدواني. عبد القادر بن ملوك شاه: منتخب التواريخ، ج1، ص 385.

[5] الساداتي. أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج2، ص45

[1] تشاندري: حصن يقع عند أقصى الجنوب من كواليار على الحدود مع مالوه وبندلخد، وله أهمية سياسية واقتصادية بالنسبة لبابر، فهو يساعده في السيطرة على مالوه ويؤمن طرق التجارة مع غربي الهند. فرشته. محمد قاسم: تاريخ فرشته المسمى (كلشن إبراهيمي)، ص 390.

[2] الشيال. جمال الدين: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص 29 ، 30.

[3] بابر. ظهير الدين: بابر نامه (وقائع فرغانة)، ص 600 – 602.

[4] الله أباد: تقع على ملتقى نهري جمنا والغانج وتبعد خمسة وسبعين ميلاً من بنارس، ولهذه المدينة قدسية خاصة عند الهندوس إذ يحجون إليها من الأقطار البعيدة في كل عام، ويغتسلون عند ملتقى النهرين للطهارة. الحسني. عبد الحي بن فخر الدين: الهند في العهد الإسلامي، ص 98.

وبنارس[1]، وأقبل عليه بعض الأمراء الأفغان مستسلمين بعد أن تخلوا عن محمود لودي، والتجأ بعض الثائرين إلى إقليم البنغال التابع لنصرت خان فطلب منه بابر عدم مساعدة الثائرين مقابل عدم التدخل في شؤونه.[2]

جرت المعركة الحاسمة بين الطرفين عند ضفاف نهر ككرا أحد روافد نهر الغانج[3] في 6 أيار 1529م، وأسفرت المعركة عن انتصار بابر وهرب محمود لودي إلى البنغال واستسلام الأمراء الأفغان[4].

رابعاً: وفاة بابر ونهاية حكمه :

بعد عودة بابر من حملة البنغال عام 1529م رقد مريضاً في فراشه، وعندما شعر بدنو أجله دعا رجال دولته وأخذ منهم البيعة لابنه همايون، وأوصاه بالرأفة بهم وبأهل بيته وإخوته، ونصحه بالحلم والحزم في حكمه، وتوفي بابر في كانون الأول 1530م وكان في الخمسين من عمره، ودفن في أرام باغ في أكرا، ثم نقل جثمانه إلى كابل ودفن في ربوة تطل على هذه المدينة التي كانت أحب المدن إليه.[5]

---

[1] بنارس: عاصمة دينية للهندوس، تقع على الضفة اليسرى لنهر الغانج. الحسني. عبد الحي بن فخر الدين، الهند في العهد الإسلامي، ص 98.

[2] كوكن. محمد يوسف: دولة المغول في الهند (1525 – 1857م)، دار حافظة للطباعة والنشر، مدراس – الهند، ط1، 1987م، ص 55.

[3] نهر الغانج: يسمى في اللغة السنسكريتية (كنكا)، ويسمونه الغرب باسم(Ganges) ، وأما العرب يسمونه باسم (كنكس) أو (جنجس)، ينبع نهر الغانج من كهف ثلجي في وادي (ألاك نددا) من بقاع جبال الهمالايا، وبعد أن يقطع مسافة طولها (1557 ميلاً) يصب في خليج البنغال. الحسيني. أبي نصر أحمد كنك، نهر الهند المقدس، القاهرة، ط1، 1954م، ص 33.

[4] الشيال. جمال الدين: تاريخ دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند، ص 30.

[5] الساداتي. أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج1، ص 292

خامساً: أنجازاته بابر المدنية:

التنظيم ولإدارة:

حكم بابر الهند مدة أربع سنوات قضاها في حروب متواصلة لذلك لم يتمكن من تنظيم شؤون دولته وإرساء قواعدها ولم يضع لحكومته أنظمة وقوانين جديدة، فقد أبقى على هيكل الإدارة الهندية السائدة في عصره مع إدخال بعض التعديلا البسيطه. [1] قسم المملكة إلى إقطاعات وعين على كل إقطاع نائبين يختص أحدهما بقيادة الجند وجمع الضرائب ورعاية مصالح الناس، ويختص الاخر على الواردات والمصروفات ويوازن بينهما، ويدفع رواتب الجنود والعاملين في المملكة، كما خص بابر نوابه في الإقطاعات كافة بتحقيق العدالة من دون تفرقة بين الناس، ومن أهم اعماله في الإدارة والنظم: مسح الأراضي وشق شبكة من الطرق تربط بين مختلف الولايات، وإقامة المنائر لهداية الناس وإنشاء خط للبريد السريع بين كابل وأكرا.[2]

العمارة والفنون :

اهتم بابر بالعمارة فشيد القصور والمساجد والحمامات والنافورات وخزانات المياه في المدن، واستخدم بضعة آلاف من النحاتين والبنائين المهرة في بنائها، ومن الآثار المعمارية التي تخلد ذكرى بابر مساجده الثلاثة في بانيبات وسنبهل وأكرا،[3] ودفعه ولعه وحبه بالطبيعة إلى إقامة الحدائق والبساتين منها رام باغ وزهرة باغ في أكرا وباغ وفا وباغ كيلان بالقرب من كابل.[4]

العلوم والآداب :

---

[1] بدواني. عبد القادر بن ملوك شاه، منتخب التواريخ، ج1، ص 343

[2] سليمان. أحمد سعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، القاهرة، ج2، 1962م، ص 643.

[3] الساداتي. أحمد محمود، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، ج2، ص 253.

[4] الشيال. جمال الدين، تاريخ أباطرة دولة المغول الإسلامية في الهند، ص 58 .

كان بابر أديباً كبيراً ومؤلفاً عظيماً وشاعراً في اللغتين الفارسية والتركية وله ديواناً شعرياً باللغة التركية وله أشعاراً أخرى باللغة الفارسية، تدل على تمكنه وإلمامه بأصول الثقافة الإسلامية واللغات العربية والفارسية والتركية، وكان لديه مكتبة عظيمة تضم أمهات الكتب،[1] ولعل أهم مؤلفاته بابر نامة أو سيرة بابر التي كتبها باللغة التركية، وتُعد نمط أدبي خاص قليل المثال في الآداب الشرقية لما فيها من معلومات قيمة عن صاحبها وحاشيته، ولهذا تُعد أعظم آثاره الأدبية وتحتل مكانة خاصة في الأدب التاريخي الهندي وتنال تقديراً عالمياً، ومن أهم آثار بابر الأدبية وصيته لابنه همايون المعروفة بـ وصية نامه، وتدل على وضوح سياسته في الحكم وبراعته الإدارية وخبرته بطبيعة البلاد، فيدعو فيها إلى سياسة التسامح والسلام، ويطلب من همايون أن يكون عادلاً منصفاً، ويحثه على احترام العقائد والديانات الأخرى والمحافظة على أماكن عباداتهم.[2]

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث، يتضح أن السلطان ظهير الدين محمد بابر يُعدّ من الشخصيات التاريخية البارزة التي أسهمت بصورة حاسمة في تغيير مجرى تاريخ الهند في مطلع القرن السادس عشر الميلادي. فقد استطاع، بفضل قدرته العسكرية وحنكته السياسية، أن يضع الأسس الأولى للإمبراطورية المغولية في الهند، بعد أن حقق انتصاره الحاسم في معركة بانيبات الأولى سنة 1526م على السلطان إبراهيم لودي، ثم واصل تثبيت نفوذه من خلال صراعاته مع القوى الأفغانية والراجبوتية.

وقد كشفت معركة خانواه سنة 1527م عن أهمية المواجهة بين بابر والراجبوت بقيادة رانا سانكا، إذ تمكن بابر من تحقيق انتصار عزز سلطته في شمال الهند، ثم أتبع ذلك بانتصاره في معركة تشاندري سنة 1528م ضد ميديني راي. كما واصل مواجهته للقوى الأفغانية، ومن أبرزها معركة ككرا سنة 1529م، التي أسهمت في توسيع نطاق نفوذه وترسيخ سلطته في المناطق الشرقية من الهند.

---

[1] محفوظ. حازم محمد أحمد، ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط1، 1425هـ / 2004م، ص98_85.

[2] بدواني. عبد القادر بن ملوك شاه، منتخب التواريخ، ج1، ص 343 ، 345

ولم تقتصر أهمية بابر على الفتوحات والانتصارات العسكرية، بل امتدت إلى الجوانب المدنية والحضارية؛ فقد اهتم بتنظيم شؤون الدولة والإدارة، وعمل على ترسيخ دعائم الحكم وتثبيت السلطة في المناطق التي خضعت له. كما عُرف باهتمامه بالعمارة والحدائق والفنون، وشجع الأدب والشعر، وكان هو نفسه أديبًا وشاعرًا ترك مؤلفات مهمة، يأتي في مقدمتها «بابرنامه»، الذي يمثل مصدرًا تاريخيًا وأدبيًا مهمًا لدراسة عصره وشخصيته وبيئته السياسية والاجتماعية.

وعليه، يمكن القول إن أهمية بابر التاريخية لا تكمن في كونه قائدًا عسكريًا وفاتحًا فحسب، وإنما في كونه مؤسسًا لمرحلة جديدة في تاريخ الهند، مهدت لقيام إمبراطورية استمرت قرونًا وأسهمت في تشكيل جانب مهم من التاريخ السياسي والحضاري لشبه القارة الهندية. ومن ثم فإن دراسة شخصية بابر تقتضي النظر إليها بصورة متكاملة، تجمع بين إنجازاته العسكرية والسياسية والإدارية والثقافية، بعيدًا عن حصر تجربته في جانب الفتوحات والحروب وحده.

قائمة المصادر والمراجع :

1 – الساداتي، أحمد محمود: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، مصر، ج1، 2001م.

2 – البغدادي، ابن عبد الحق صفي الدين عبد المؤمن (ت: 739هـ): مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار الجيل، بيروت– لبنان، ج3، 1412هـ.

3 – بدواني، عبد القادر بن ملوك شاه: منتخب التواريخ، كلكتا، ج1، 1868م.

4 – بخشي، نظام الدين أحمد: المسلمون في الهند من الفتح العربي إلى الاستعمار البريطاني وهو الترجمة لكتاب طبقات أكبري، ج1، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1995م.

5 – بابُر، ظهير الدين: بابُر نامه وقائع فرغانة، ترجمة: ماجدة مخلوف، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2002م.

6 – جاكسون، بيتر: سلطنة دلهي، تعريب: فاضل جتكر، مكتبة العكبيان، الرياض، ط1، 2003م.

7 – الحوارنة، أحمد محمد: المعارك الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، د.ط، د.ت.

8 – الشيال، جمال الدين: *دولة أباطرة المغول الإسلامية في الهند*، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 2001م.

9 – الخطيب، محمود أحمد: مقارنة الأديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1428هـ / 2008م.

10- الحسني، عبد الحي بن فخر الدين (ت: 1341هـ): الهند في العصر الاسلامي، مراجعة وتقديم: أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار عرفات- الهند، د.ط، 2001م.

11- الحسني. عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من اعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، دار ابن حزم، بيروت- لبنان، ج5، 1999م.

12- الحسيني، أبي نصر أحمد: كنك نهر الهند المقدس، القاهرة، ط1، 1954م.

13- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت (ت: 626هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت – لبنان، ج4، 1995م.

14- سليمان، أحمد سعيد: تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرة الحاكمة، القاهرة، ج2، 1962م.

15- شلبي، أحمد: أديان الهند الكبرى (الهندوسية – الجينية – البوذية)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 2000م.

16- فرشته، محمد قاسم: تاريخ فرشته المسمى بـ (كلشن إبراهيمي)، بومباي، ج1، 1831م.

17- كوكن، محمد يوسف: دولة المغول في الهند (1525 - 1857م)، دار حافظة للطباعة والنشر، مدارس - الهند، د.ط، 1987م.

18- لوبون، غوستاف: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ط، د.ت.

19- محفوظ، حازم محمد أحمد: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، الدار الثقافية للنشر، مصر، ط1، 1425هـ / 2004م.

20- المشهداني، ياسر عبد الجواد: تاريخ الدول الإسلامية في آسيا، دار الفكر، الأردن، ط1، 2010م.

21- النمر، عبد المنعم: تاريخ الإسلام في الهند، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1401هـ / 1981م.

22- الندوي، محمد إسماعيل: الهند القديمة حضارتها وديانتها، دار الشعب، القاهرة - مصر، د.ط، 1970م.

المنشآت المعمارية في العهد الأغلبي (184-296هـ/ 800- 909م)

من التعددية الوظيفية إلى التكامل المنظومي والجمالي

تقديم : الباحث حسن فطراوي

الملخص:

شهدت إفريقية في العصر الأغلبي نهضة عمرانية استثنائية فرضها الاستقرار السياسي ووفرة المال، إلى جانب الحاجة الملحة لتحصين الثغور، مما ساعد على دمج التأثيرات العباسية المشرقية بالإرث الروماني والبيزنطي المحلي. وتجلت هذه النهضة في عمارة مدنية متطورة تمثلت في بناء مدن ملكية محصنة مثل العباسية والرقادة التي ضمت القصور والبساتين والمصانع. كما ازدهرت العمارة الدينية عبر تشييد مساجد جامعة خالدة كجامع القيروان الكبير وجامع الزيتونة، والتي تميزت بمحاريبها ومآذنها وقبابها المبتكرة. ولحماية الدولة، برزت العمارة الحربية من خلال الرباطات الساحلية القوية كرباطي سوسة والمنستير المجهزة بأبراج مراقبة منيعة وأسوار سميكة. وقد تميزت هذه المنشأة بتعددية وظيفية فريدة ، فلم تكن المساجد والرباطات مجرد دور للعبادة أو الحصون الدفاعية، بل تحولت إلى مراكز تعليمية، ومحطات بريدية، وفضاءات للتفاعل الاجتماعي والاقتصادي وأخيراً، توج الأغالبة عبقريتهم الهندسية بمنشآت عامة ومائية فريدة، وفي مقدمتها فسقيات القيروان الضخمة لتجميع المياه وتأمين احتياجات السكان اليومية.

الكلمات المفتاحية: العمارة – الأغالبة – إفريقية – الإسلامية .

Abstract

During the Aghlabid era, Ifriqiya witnessed an exceptional urban renaissance" driven by political stability and financial abundance, alongside an urgent need to fortify the frontiers. This facilitated the integration of Abbasid Mashriqi influences with the local Roman and Byzantine heritage. This renaissance manifested in advanced civil architecture, represented by the construction of fortified royal cities such as Al-Abbasiyya and Raqqada, which included palaces, orchards, and manufacturing workshops. Religious architecture also flourished through the construction of enduring congregational mosques, like the Great Mosque of Kairouan and the Al-Zaytuna Mosque, distinguished by their innovative mihrabs, minarets, and domes. To protect the state, military architecture emerged through robust coastal ribats, such as those of Sousse and Monastir, which were equipped with fortified watchtowers and thick walls. Finally, the Aghlabids crowned their engineering genius with unique public

and hydraulic structures, most notably the massive Basins of Kairouan, designed to collect water and secure the daily needs of the population ".

Keywords: Architecture – Aghlabids – Ifriqiya – Islamic

مقدمة:

تمثل العمارة المرآة الأصدق لتوجهات الدول وموازين قواها، وفي تاريخ الغرب الإسلامي، يبرز العهد الأغلبي (184–296هـ / 800–909م) كأحد أهم العصور التي شهدت فيها إفريقية (تونس الحالية) طفرة حضارية وعمرانية استثنائية. فمع استقلال الإمارة الأغلبية ذاتياً عن الخلافة العباسية، واجهت الدولة الناشئة تحديات كبرى تمثلت في تأمين حدودها البحرية والبرية، وتنظيم مجتمعاتها الحضرية، وتأصيل هويتها الروحية. من رحم هذه التحديات، ولدت حركة إنشائية واسعة لم تكن مجرد استجابة عفوية للحاجة، بل صياغة لواجهة سياسية وحضارية متكاملة.

لقد انطلقت المنشآت المعمارية الأغلبية بداية من مفهوم "التعددية الوظيفية"؛ حيث فرضت الجغرافيا السياسية بناء عمارة دينية وتعليمية رائدة تجسدت في جامع القيروان الكبير وجامع الزيتونة، وعمارة عسكرية دفاعية صارمة تمثلت في رباطات سوسة والمنستير لحماية الثغور من الهجمات البيزنطية، وعمارة مائية ومدنية فريدة كفسقيات الأغالبة لضمان البقاء والاستقرار الحُضري. إلا أن العبقرية الهندسية

للأغالبة لم تقف عند حدود تلبية هذه الوظائف النفعية بشكل معزول؛ بل ارتقت بها لتصنع "تكاملاً منظومياً" محكماً، تحولت فيه المباني إلى شبكة حيوية مترابطة؛ فالرباط يحمي المدينة، والمنشأة المائية تغذي الجامع والسكان، ونظام الإشارات النارية يربط السواحل بالعاصمة، مما جعل العمارة أداة إستراتيجية لإدارة الدولة وإبراز سيادتها.

ولم يأتِ هذا الانضباط المنظومي والوظيفي الصارم على حساب القيمة الفنية، بل تُوّج بـ "جماليات" بصرية وهندسية مبتكرة. فقد نجح المعمار الأغلبي في دمج التقنيات والموروثات البيزنطية والرومانية المحلية مع الرؤية الفنية الإسلامية الوافدة، لينتج عناصر معمارية فارقة—كالعقود الحذوية المتجاوزة، والقباب المضلعة، والمحاريب المزخرفة بالخزف ذي البريق المعدني—مؤسساً بذلك لهوية بصرية ممتدة ألهمت العمارة المغربية والأندلسية لقرون تالية.

إشكالية البحث:

ينطلق البحث من الإشكالية التالية، ما هي الدوافع الخلفية التي وجهت اهتمام الأغالبة نحو تشييد حركة معمارية ضخمة في إفريقية؟ وكيف تطورت هذه المنشآت في بنيتها (المدنية والدينية والعسكرية) من مجرد فضاءات لتلبية وظائف نوعية منفصلة، لتستحيل في نهاية المطاف إلى شبكة عمرانية متكاملة منظومياً ومتجانسة جمالياً؟

ويتفرع من هذه الإشكالية عدة تساؤلات:

1-ما هي الدوافع التي جعلت الأمراء الأغالبة يضعون العمارة في مقدمة أولويات دولتهم الناشئة؟

2-كيف تجلت الخصائص المعمارية والهندسية في المعالم العمرانية؟

3-ما هي الآليات الهندسية والتخطيطية التي اعتمدها المعمار الأغلبي لربط هذه المنشأت المتنوعة في منظومة إقليمية موحدة؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تقديم قراءة تحليلية جديدة للعمارة الأغلبية كـ فلسفة تخطيطية مستدامة، تجاوزت الطرح الأثري الجاف ، لتكشف عن آليات صهر الأنماط المدنية والدينية والعسكرية في شبكة إقليمية موحدة تتكامل فيها الوظيفة مع الجمال ، مما يثري المكتبة التاريخية بمرجع تأصيلي يستفاد من مبادئه العمرانية .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الكشف عن الدوافع السياقية التي وجهت اهتمام الأغالبة نحو تشييد حركتهم المعمارية ، مع تحليل الخصائص الوظيفية والبنيوية لمنشأتهم (المدنية والدينية والعسكرية) ،وصولاً إلى رصد آليات تحولها إلى شبكة إقليمية مترابطة صهرت المؤثرات المشرقية والمحلية لصياغة هوية جمالية موحدة تخدم الوظيفة والاستدامة.

حدود البحث:

تتمثل الحدود الزمانية للبحث بالحديث عن العمارة الأغلبية (184–296هـ/ 800– 909م) ،أما الحدود المكانية فتنحصر بالحديث عن العمارة الأغلبية في إفريقية(تونس اليوم).

الإطار النظري للبحث:

يستند الإطار النظري للبحث إلى النهج البنيوي الوظيفي ونظرية النظم في العمارة، حيث يدرس النسيج المعماري الأغلبي كبنية حركية متكاملة تتفاعل فيها الأنماط (المدنية والدينية والعسكرية) وظيفياً وجمالياً .

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي ، لتتبع أسباب وبدايات الحركة المعمارية الأغلبية، مدمجاً مع المنهج الوصفي البنيوي لتفكيك الخصائص الوظيفية للمنشأة المعمارية ، ورصد آليات تحولها وتكاملها هندسياً وفنياً ضمن منظومة عمرانية موحدة.

أولاً– عوامل النهضة المعمارية في العصر الأغلبي:

1–الموقع الجغرافي والازدهار الاقتصادي:

لقد كان لموقع دولة الأغالبة دور كبير في ثراء هذه المنطقة وبالتالي كثرة العمائر فيها، فقد كان حد دولة الأغالبة ينطلق من البحر غرب جبل كتامة أي بلاد القبائل الصغرى، ينحدر أولاً إلى الجنوب ، ثم يمر غرب سطيف ويصل إلى أربه ، وهي آخر بلاد على ملك الأغالبة غرباً، وهي أيضاً قاعدة الزاب الذي يحتله جبلا الأوراس والنماشة(شمال شرق الجزائر)، ثم يمتد الحد إلى ناحية الشواطئ ، وينعرج بعد ذلك نحو الشرق ويحيط بهما، في اتجاه الساحل المساير لها ، ويكون ممشى يختلف اتساعاً على طريق البحر، ويميل إلى الانحناء جنوباً والإحاطة ببلاد نفوسة(شمال غرب ليبيا)، وكانت مدينة لبدة(غرب ليبيا) أخر ما يملك الأغالبة وأبعد حصن يحمي الإمارة شرقاً ،فكانت هذه الإمارة مثل جميع الإمارات التي أفرزتها الحضارة العربية الإسلامية محاطة بشريط من البقاع التي تختلف في اتساعها والتي ليست لها مشارف قارة ، وهي نوع من المنطقة الحرام الحامية، والتي تتمتع بفضل حدودها بالسلام[1].

فازدهرت الحياة الاقتصادية في إفريقيا كلها بقيام دولة الأغالبة مستفيدين من وضع البلاد الجغرافي ، فجمعوا الثروات الطائلة التي ظهرت آثارها فيما أقاموه من منشأة وعمائر[2].

1-المطالبي(محمد): الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995م، ص146-147-148.

2-ابن وردان(عيسى ت: 160هـ - 777م): تاريخ مملة الأغالبة، تح: محمد زينهم، مطبعة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م، ص43، إدريس (سماح): أثر الوضع السياسي في تباين العلاقات التجارية بين

دويلات المغرب والأندلس، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ،لم ينشر ،جامعة حمص، 2022م، ص 77.

كما استفادت مدينة القيروان من توسطها في ملتقى طرق المواصلات ، فأصبحت مخزناً لكل المواد المصنوعة محلياً والمستوردة من بعيد ،من دون أن ننسى الذهب والرقيق ، فنمت المدينة واتسعت عمائرها ونعمت حياتها[1].

2-اهتمام الحكام الأغالبة بالعمارة:

اهتم الأمراء الأغالبة بالبناء والتعمير فشيدوا المساجد والرباطات[2] والحنايا الشهيرة وهي قنوات مرفوعة لجلب الماء إلى العاصمة، ولطالما ظن الدارسون أنها تعود إلى العهود الرومانية والبيزنطية حتى قامت الحجة على أنها لسادس ملوك الأغالبة أبو إبراهيم أحمد[3] .

وفي عهد حكام الأغالبة ازدهرت الحياة الاقتصادية ازدهاراً واسعاً لم تشهده البلاد من قبل الأغالبة، إذ وفروا لبلادهم ورعاياهم الأمن الذي كان معدوماً وقتاً طويلاً ، وفي عهد إبراهيم بن أحمد[4] كانت القوافل والتجار يسيرون في الطريق أمنين، وفي ظل هذا الأمن اتجه الناس بكامل قواهم إلى العمل والإنتاج فعمرت

1-العروي(عبدالله): مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2، 2000م،ص 39.

2-الرباط: هو المكان المخصص للعبادة والعزلة في العواصم للرجال والنساء على حد سواء، وهو أن وجد في الثغور ومناطق الحدود كان للعبادة والجهاد ،ومقراً للمقاتلين وممراً للبريد، ومأوى للقوافل، وبمعنى آخر كان الرباط في الأصل بناء عسكري دينياً للمجاهدين، ثم أصبح مأوى للمعتكفين وأبناء السبيل، الشهابي(قتيبة): معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1999م، ج1،ص317.

3-العروي: مجمل تاريخ المغرب، ص39.

4-إبراهيم بن أحمد: هو تاسع أمراء الدولة الأغلبية أصحاب أفريقيا ولي إفريقيا سنة 261هـ/874م،أبو الفدا(إسماعيل بن محمد ت:732هـ/1332م):المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط1،د.ت،ج1،ص75.

أراضٍ كثيرة وبنوا الأسوار والأبراج والحصون وصهاريج المياه وغيرها من المنشأة المعمارية التي برع مهندسوها في إحكام بنائها حتى صارت من أبرز النماذج للفن الإسلامي في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، ولا شك ان الاغالبة استفادوا من خلاصة حضارات سبقوهم في حكم إفريقيا من الرومان والبيزنطيين في تشييد أثارهم المعمارية، والتي لا يزال معظمها باقياً في البلاد التونسية شاهداً على عظمتهم، وقد بالغ إمراء الأغالبة في إقامة المساجد لما كان لرجال الدين مكانة عظيمة بين الناس في إفريقيا فبذلوا في بنائها وزخرفتها أموالاً طائلة[1].

ثانيا- العمارة المدنية:

تمثل العمارة المدنية الوعاء المادي الباعث للحياة الحضرية ،والركيزة الأساسية لتنظيم المجتمعات وتطورها.

1-مدينة العباسية(القصر القديم):

في سنة185هـ/802م، شرع إبراهيم بن الأغلب(184_196هـ) ببناء مدينة القصر القديم(العباسية) ، وصارت بعد ذلك دار لأمراء بني الأغلب، وكانت على ثلاثة أميال من القيروان، وكان قد اشترى موضعها من أحد القبائل هناك ونقل اليها السلاح والعدد سراً، وسكن حوله أهل الثقة من خدمه[2] .

أن ما أمتاز به إبراهيم ين الأغلب من الشجاعة ورجاحة العقل أدى إلى رقي في حالة البلاد وانتشار في الأمن وزيادة في دخل الدولة مما ساعد على بناء عاصمة جديدة لإمارته بجوار القيروان والانتقال إليها،

1-أحمد (عبدالرحمن حسب الله): بنو الأغلب إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا ، مجلة دراسات إفريقيا، العدد20، 1999م،ص168-173.

2-ابن عذارى المراكشي(أحمد بن محمد ت: 712هـ/ 1299م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: كولان وليفي بروفنال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص93.

يقول ابن خلدون: فقام إبراهيم بالولاية وضبط الأمور وسكنت البلاد بولاية ابن الأغلب وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل إليها بجملته[1] .

وبعد أن تم بناء المدينة أطلق ابن الأغلب على المدينة الجديدة أسم العباسية تيمناً باسم الأسرة الخلافية، ولتكون قرينة للهاشمية أول عاصمة عباسية قبل بغداد، وعرفت أيضاً باسم (القصر القديم) ولا ندري إن كانت هذه التسمية الأخيرة قد ظهرت منذ بناء المدينة أو أنها ظهرت في وقت متأخر ،وتمثل هذه المدينة ذروة التكامل المنظومي الأغلبي كـ مدينة أميرية وعاصمة سياسية متكاملة الخدمات ، فقد احتوت المدينة على قصر الأمير وما الحق به من الدواوين ودور سك النقود ومساكن حاشيته والمسجد الجامع ومعسكرات الحرس وخزائن السلاح والأموال ، هذا إلى جانب الأسواق وكل ما يلزم للمدينة من وسائل المعاش[2] .

وحفرت داخل المدينة الآبار الكثيرة التي كانت تقدم لأهلها حاجتهم من الماء ، وأحيطت المدينة بسور حصين على أركانه أبراج عالية يقيم فيها الحرس[3] .

ولها خمسة أبواب هي(باب الرحمة قبلي وباب الحديد قبلي وباب غليون شرقي وباب الريح شرقي وباب السعادة غربي يقابل المقبرة الكبيرة بالمدينة[4]).

1-ابن خلدون(عبدالرحمن بن محمد ت: 808هـ/ 1406م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، 2009م، ج4، ص 196.

2-عبد الحميد(سعد زغلول): تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، مصر، 1993م، ج2، ص32.

3-مؤنس(حسين): معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ، مصر، 2004م، ص98.

4-زيتون(محمد): القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنارة، القاهرة، 1988م،ص98.

وفي وسط المدينة كانت توجد رحبة كبيرة عرفت باسم(الميدان) ربما كانت تستخدم لعرض الفرسان، وهكذا اتسعت مدينة العباسية وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة وفنادقها وأسواقها ومواجل الماء العظيمة التي كانت تمد القيروان أوقات القحط.

وفي الوقت الذي بدأ فيه إبراهيم بن الأغلب البناء كان يعمل في الخفاء على تحقيق هدفه في إنشاء العباسية، وهو العمل على التحرر من تسلط العسكر المشاغب والتمكن من مدافعتهم إذا تطلب الأمر وذلك بالاعتصام بقلعته الجديدة ، وعندما تم بناء العباسية انتقل إليها في جنح الليل بأهله وحرمه وعبيده[1] ، وقد قال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ مبيناً ذلك : ً وابتنى إبراهيم بن الأغلب مدينة سماها العباسية بقرب القيروان وانتقل إليها بأهله وعبيده[2] ً .

وقد أسكن فيها عبيده والذين اصبحوا حرسه الخاص الذي يضع فيه ثقته حوله، كما اسكن معه أيضاً أهل الثقة من جنده، وبذلك أصبحت العباسية مقراً لإبراهيم ومعسكراً لقواته[3] .

1-عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج2، ص 33-34.

2-ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد بن محمد ت: 630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تح: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987م، مج5، ص313.

3-عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج2، ص34، إبراهيم(عبد الحكيم): مظاهرة الحضارة في عصر الأغالبة بالمغرب العربي،جامعة دنقلا ، د.م د.ت ، ص 18.

2-مدينة رقادة:

أهم ما يميز عهد إبراهيم بن أحمد(261_289هـ) هو ما قام به من السير على سمة كبار الحكام من منشئي الدول، وذلك باتخاذه عاصمة جديدة غير القصر القديم، وهي المدينة التي بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الأسرة الأغلبية وسماها العباسية، ففي سنة 263هـ/876م، بدأ إبراهيم بن أحمد في

بناء مدينة رقادة[1] على بعد أربعة أميال من القيروان على مساحة قدرها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراع، وهي حسنة الموقع ، كثيرة المنتزهات، فأكثرها بساتين وليس بإفريقيا أعدل هواء ولا أرق نسيماً ولا أطيب تربة من مدينة رقادة، وقد عمرت وكثرت أسواقها وحماماتها وفنادقها ، وأنتقل إليها قصر الإمارة من القصر القديم، كما بنا بها إبراهيم قصوراً مهيبة وعجيبة[2].

أما عن التسمية (رقادة) فقيل إنها نسبة إلى الرقاد أي النوم، وذلك لطيب مناخ المنطقة التي اختيرت للبناء ، وخطط المدينة بحيث كان دورها أربعة عشر(ألف ذراع)، وبنيت فيها بالإضافة للقصور المساجد، وكان أول قصر بني فيها هو القصر المعروف بـ (الفتح)الذي تم بناءه في سنة 264هـ/ 877م، فانتقل إليه إبراهيم بن أحمد من القصر القديم، وبذلك صارت رقادة العاصمة الجديدة وأصبحت رمزاً لدولة إبراهيم الثاني ، واستمرت أعمال إبراهيم في أعمار رقادة من أجراء المياه إليها واغتراس صنوف الثمار الطيبة والرياحين، وبناء القصور داخل أسوار المدينة ، مثل قصر بغداد وقصر المختار ، حتى صارت رقادة قبل نهاية عهده اكبر من القيروان[3] .

1-عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج2، ص116.

2-زيتون: القيروان، ص 99.

3-عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج2، ص116-118.

وقد بلغت رقادة أعظم قسط من الحضارة والمدنية في عهد إبراهيم بن احمد حيث أسس فيها بيت الحكمة على غرار مكتبة بيت الحكمة[1] للرشيد[2] والمأمون[3] ببغداد ، وهو أول جامعة للعلوم نشأت في البلاد المغربية، وكان يدرس بها الطب والفلك وتقويم البلدان والفلسفة[4] .

وبالتالي يمكن القول، أن مدينة رقادة تمثل النموذج الأرقى لـ المدينة المرفئية والمنتزه الأميري التي جسدت التلاحم المنظومي بين مركزية السلطة السياسية وهندسة الرفاه البيئي والمائي في العهد الأغلبي.

ثالثاً–العمارة الدينية:

تعد العمارة الدينية مرآة تعكس عظمة الحضارة الإسلامية، حيث برزت بتصاميمها الفريدة مثل المساجد والمآذن والقباب التي تهدف إلى إيجاد مساحات هادئة للتأمل والعبادة.

1–مكتبة بيت الحكمة: أنشأها الخليفة هارون الرشيد المتوفي سنة 194هـ/ 786م في بغداد ، وهي اول مكتبة عامة وأكاديمية تقام في البلاد الإسلامية، عليان(ربحي مصطفى): المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 1999م، ص146.

2–الرشيد: هو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي بن عبدالله بن العباس ولد بالري سنة خمسين ومائة ، بويع بالخلافة سنة سبعين ومائة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة، ابن الكازروني(علي بن محمد ت: 697هـ/ 1297م): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970م، ص125–127.

3-المأمون: هو أبو العباس عبدالله بن هارون بويع بالخلافة سنة ثمان وتسعين ومائة وتوفي سنة ثمان عشرة ومائتين ، القلقشندي(أحمد بن عبدالله ت: 820ه/1418م): مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الساتر فرج، عالم الكتاب، بيروت، د.ت، ج1، ص 208-209.

4-ضيف(شوقي): عصر الدول والإمارات ، القاهرة، دار المعارف، القاهرة ، 1990م، ص30.

1-المسجد الجامع بالقيروان:

أختط المسجد الجامع بالقيروان في العصر الأموي ،في عهد والي إفريقيا عقبة بن نافع الفهري سنة 50ه/670م، وفي عهد الأغالبة جدد الجامع ليتوجوا أعمالهم عليه ، وليصبح أثراً باقياً من أثار الأغالبة، ففي سنة 221ه/836م قام الأمير الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب[1] (201_223ه/817_838م)بهدم المسجد العتيق بعد أن لم يعد مناسباً من حيث السعة أو من حيث الفخامة لمدينة القيروان التي أصبحت أعظم عواصم المغرب، كما لم يعد مناسباً بالمملكة المغربية التي وطدت أقدامها في إفريقيا، وأصبح بلاطها منافساً لبلاط الخلافة في بغداد[1] .

هدم زيادة الله الجامع كله، وأراد هدم المحراب فقيل له أن من تقدمك من الولاة توقفوا عن ذلك لما كان واضعه عقبة بن نافع، فلج في هدمه لئلا يكون في الجامع أثر لغيره حتى قال له أحد البناة أنا أدخله بين حائطين ولا يظهر في الجامع أثر لغيرك ، والمحراب كله وما يليه مبني بالرخام الأبيض من أعلاه إلى أسفله مخرش منقوش كله، يستدير به أعمدة رخام في غاية الحسنة والجمال والبهاء، وأصبح عدد ما في الجامع من الأعمدة أربع مائة وأربعة عشر عموداً وبلاطاته سبعة عشر بلاطاً، وطوله

مائتان وعشرين ذراعاً وعرضه مائة وخمسون ذراعاً، وبلغت النفقة في بنيانه ستة وثمانين ألف مثقال، ولما ولي إبراهيم بن أحمد بن الأغلب زاد في طول بلاطات الجامع[2] .

1-زيادة الله: صاحب إفريقيا تولى حكمها سنة201هـ/816م،ابن الأثير:الكامل في التاريخ،ج5،ص433.

1-عبد الحميد : تاريخ المغرب، ج2، ص73، سعيدان(عمر): آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي بأفريقية وتونس وليبيا ،مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، ط2، 1949م، ص 9-10.

2-زيتون: القيروان، ص 86-88.

وقيل أن أحد الولاة الذين خلفوا عقبة بن نافع قد جمل المسجد بأعمدة من رخام استخرجا من أنقاض قرطاجة[1]، فاستعمل الأغالبة الأعمدة نفسها عند إعادة بنائه وتجديده، وكانت المئذنة مربعة في جامع القيروان هي نفسها التي شيدها عقبة بن نافع في العصر الأموي، فبقيت على حالها في عهد الأغالبة تمثل طابع المآذن الأموية السورية التي أصبحت فيما بعد مثالاً يحتذى به في بناء المساجد في المغرب والأندلس[2].

2-جامع الزيتونة:

جامع الزيتونة أنشأ في العصر الأموي ، ثم أعاد أبو إبراهيم أحمد بن الأغلب وأبنائه بنائه وتجديده، ولقد عثر على نقش كوفي في قبة المحراب نصه الآتي: بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمله الإمام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي، طلب ثواب الله وابتغاء مرضاته، على يدي نصير مولاه، سنة خمسين ومائتين، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء الله، صنع فتح. وهكذا يحمل النصب اسم المستعين بالله، كما يحمل أسم الفتى الخادم الذي أشرف على تنفيذ العمل من الناحيتين الإدارية والمالية، وكذلك اسم مهندس البناء وهو فتح، أما أسم الأمير الأغلبي الحاكم فلا يوجد في النقش وهو الأمر المستغرب وإن كان من الممكن تفسير ذلك بأنه نوع من الأدب من جانب الأمير الأغلبي الذي رأى أن يقدم أسم الخليفة دون ذكر أسمه ،وخاصة أن أبا إبراهيم كان قد توفي في سنة 249هـ/864م، وخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله الأوسط الذي كان له هذا القرار على الأغلب، ومن المتفق عليه أن جامع الزيتونة حافظ على عناصره الرئيسية

1-قرطاجة:مدينة عظيمة شامخة البناء أسوارها من الرخام الأبيض وبها من العمد الرخام المتنوع الألوان ما لا يحصى ولا يحد ،تقع في أحد نواحي إفريقيا، الحموي: معجم البلدان، مج 4،ص323.

2-زبيب(نجيب): الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، بيروت، 1997م، ج2، ص161-162.

منذ أن بناه أبو إبراهيم أحمد، والمسجد الحالي يتكون من الصحن الذي يحيط به الأبهاء، ومن بيت الصلاة الذي يحتوي على تسعة أروقة رأسية على حائط القبلة من الشمال إلى الجنوب ، والرواق الأوسط منها ، وكذلك بلاط المحراب المستعرض أكثر اتساعاً وأعلى ارتفاعاً من بقية الأروقة والبلاطات العرضية، وعند التقائهما توجد قبة المحراب الرائعة التي بنيت سنة 250هـ / 864م، والتي تحمل نقش الخليفة المستعين[1]،إذ اضفت هذه القبة مهابة بصرية على قاعة الصلاة.

ويمثل جامع الزيتونة الركيزة المنظومية التي صهرت الوظيفة الدينية بالدور التعليمي والحضاري للإقليم، ليشكل نواة عمرانية واقتصادية ارتبطت بها الأسواق والأنشطة المدنية الحيوية كافة.

ولا بد لنا أن نشير إلى اهتمام أمراء الأغالبة الكبير بالعمارة الدينية، فقد بذلوا في بناء المساجد وزخرفتها أموالاً طائلة، كما وجدوا من أهالي إفريقيا الوارثين للفنون السابقة من رومانية وبيزنطية المساعدين المهرة فأعانوهم على إتحاف البلاد بمجموعة فنية انفردت بها إفريقيا عن سائر الممالك الاسلامية[2].

رابعا– العمارة الحربية:

أنشئ في المغرب العربي العديد من العمائر العسكرية ، كان من أهمها ما أنشئ في عصر الأغالبة كرباط سوسة ورباط المنستر والأسوار والحصون.

1–رباط سوسة:

1-عبد الحميد: تاريخ المغرب ،ج2، ص 102.

2-أحمد: بنو الأغلب، ص 169،حسن(زكي):اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ،مطبعة جامعة القاهرة، مصر،1956م،ص2.

هو من بناء زيادة الله بن الأغلب ، أسسه في سنة 206هـ/822م، وتاريخ الانشاء مسجل على لوحة من الرخام بأعلى المدخل، تقرأ عليها النص التالي: مما أمر به الأمير زيادة الله بن إبراهيم أطال الله بقاءه، على يد سرور الخادم مولاه في سنة ست ومائتين ، اللهم أنزلنا منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين. ويقوم الرباط على خليج قابس[1]، وهو مدخل سور المدينة من ناحية البحر،وطول ضلع سوره أربعون متراً تقريباً ، وبداخل السور ثلاث قاعات واسعة تسمى الأسطوانات مرفوعة على عمد وفوقها سقف يتكون من ثلاث قباب ، هذه القاعات والاسطوانات يؤدي بعضها إلى بعض ، وهي تستعمل للنوم والأكل ، ويليها صحن الرباط وهو مسافة واسعة مسورة تدور حولها البوائك ، وهذه البوائك طابقين وهي تطل على صحن الرباط، وفي ركن من الصحن يقوم مسجد الرباط[2]،وأسس هذا الرباط ليكون حصناً عسكرياً وقاعدة للدفاع الساحلي.

2-رباط المنستر:

يقع هذا الرباط بين المدينتين التونسيتين المهدية وسوسة، بناه أحد قادة الخلفاء العباسيين في القرن الثاني للهجرة [3]، وهو أقدم وأجمل من رباط سوسة من الناحية الهندسية ، وقد اتسع هذا الرباط حتى أصبح على شكل حصن كثير المساكن ، والرباط عبارة عن طابقين يخصص الأول منهما للمسجد

وقاعات الدروس والاجتماعات والطعام ،إذ يجسد التكامل المنظومي عبر صهر قلعته العسكرية الدفاعية بصومعة تعبدية وفضاءات تعليمية حيوية تلبي حاجات المجتمع وتتبدى جماليته في التوازن البصري[4].

1-قابس: مدينة بين طرابلس وصفاقس تقع في الإقليم الرابع، الحموي، معجم البلدان،مج4،ص289.

2-ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ص38-39.

3-احمد(علي): تاريخ المغرب العربي الإسلامي ، منشورات جامعة دمشق، سوريا، 2006م، ص96-97.

4-ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، ص38-40، سعيدان: آثار تونس، ص 26.

3-الأسوار والحصون:

أقيمت في عهد الأغالبة العديد من الأسوار والحصون كان أهمها سور مدينة سوسة، الذي أقامه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب سنة 245هـ/ 860م، وسور مدينة صفاقس على الساحل الشرقي لتونس بناه إبراهيم بن احمد الأغلبي ، وأقيم من التراب واللبن، ثم رمم بعد ذلك بالحجارة من أجل إعطاء متانة جديدة[1]. وقد أهتم إبراهيم بن احمد ببناء الحصون والمحارس على ساحل البحر حتى كانت النار توقد في ساحل سبتة للنذير بالعدو " فيصل إيقادها إلى الإسكندرية في مصر بالليلة الواحدة"؟؟ كما ابتنى على مدينة سوسة سوراً[2] ،وعندما ابتنى إبراهيم بن الأغلب مدينته العباسية قام بإحاطتها

بالأسوار القوية المحصنة لحمايتها، ثم أحاط الأسوار بخندق عظيم[3]،وسبب بنائها يرجع إلى حماية المدن الساحلية من الغزوات الأوروبية.

خامساً- المنشآت العامة:

المظهر المعماري الفني الأخير هو المنشآت العامة التي أنشأها الأغالبة حباً للخير وإقبالاً لما فيه لصالح الرعية ، وهب عبارة عن مجموعة من أشغال الري فنجد الأغالبة قد حفروا الآبار وبنو البرك والمواجل والصهاريج وجلبوا إليها الماء من العيون وسطوح الجبال ، وتعد هذه المنشآت آية من الجمال والروعة و التكامل في الفن المعماري الأغلبي ولا زالت آثار هذه المرافق موجودة مثل

1-أحمد: تاريخ المغرب الإسلامي، ص 97، طالب(علي): النشاط البحري في الغرب العربي الإسلامي منذ سنة(138ه/756م)حتى(422ه/1031م)،بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام ،لم ينشر، جامعة حمص،2024، ص107.

2-زيتون: القيروان ، ص 106 ، سعيدان: آثار تونس ، ص 27.

3-عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج2، ص 33.

فسقية[1] القيروان وبركة رقادة المستطيلة[2]

واعتنى الاغالبة كذلك ببناء صهاريج المياه وجبابها، والصهريج عبارة عن خزان ماء فوق الأرض ، أما الجب فلا يكون إلا في باطن الأرض ، كذلك أكثر الأغالبة من بناء المواجل لخزن مياه الأمطار ، والمواجل عبارة عن أحواض ماء واسعة وعميقة تشبه الفسقيات يتجمع فيها ماء المطر، وهي دائماً مكشوفة وقد يقام في وسط الماجل جوسق يجلس فيه الأمير للراحة[3] .

ولعل أعظم المواجل التي أنشئت لخزن المياه سعة واتقاناً هو الماجل الذي بناه أحمد بن محمد بن الأغلب، فقد بلغت روعة البناء لهذا الماجل أن عبيد الله الفاطمي[4] عندما رأه أبدى دهشة لإتقانه وروعته وعده من العجائب التي لم يراها في المشرق، ولا شك ان مشروعاً للمياه يبقى منذ ذلك الوقت إلى اليوم ولم يتصدع ولا زال في الماء لأمر عظيم يدعو إلى الدهشة والعظمة ودقة الإتقان والمتانة، وذلك الماجل هو المشهور اليوم باسم(فسقية الأغالبة)، وهو مستدير متناهي الكبر، أنشئ سنة245هـ/860م، وأنفق عليه ما يقارب من مائة ألف دينار[5].

1-فسقية:مفرد فسقيات، وهي حوض من الرخام ،مستدير الشكل غالباً في وسطه نافورة تجمع الماء فيه، رزق(عاصم محمد): معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2000م، ص213.

2-أحمد : بنو الأغلب، ص 173.

3-عبيدالله الفاطمي: هو مؤسس الدولة الفاطمية في تونس، الذهبي(محمد بن أحمد748هـ/1374م):سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1981م، ج15، ص

4-ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة، ص 41.

5-زيتون: القيروان، ص 92.

سادساً- مظاهر التداخل والوظائف المتبادلة في الأنماط المعمارية الأغلبية:

لم تكن الأنماط المعمارية (المدنية والدينية والحربية) في إقليم إفريقية خلال العصر الأغلبي (184-296هـ/ 800-909م) معزولة عن بعضها البعض، بل شكلت منظومة هندسية متكاملة تتبادل الأدوار والوظائف ، مدفوعة بالظروف السياسية والتهديدات العسكرية والبيئة الجغرافية للإقليم، ويتجلى أول مظاهر هذا التداخل في عملية عسكرة المنشآت الدينية، حيث فرضت خطوط المواجهة الساحلية والتهديدات البيزنطية المستمرة على المعماري الأغلبي إعطاء الأولوية للتحصين الدفاعي عند تصميم المساجد الجامعية، وظهر هذا بوضوح في جامعي سوسة وصفاقس اللذين شيدوا بأسوار ضخمة سميكة مبنية بالحجر المنحوت تخلو من الزخارف الخارجية، ودعمت بأبراج دائرية ركنية تحاكي هندسة القلاع تماماً[1] .

كما لم تقتصر وظيفة المآذن الأغلبية بهيئتها المربعة الضخمة وشرفاتها المرتفعة على رفع الأذان ، بل عدت أبراج استطلاع ومراقبة ساحلية تشعل فيها النيران ليلاً لإرسال الإشارات التحذيرية للمدن الداخلية عند رصد الغارات البحرية .

وفي المقابل، ظهر اتجاه مواز تمثل في إضفاء الطابع الديني على العمارة العسكرية، تجسيداً لمفهوم المرابطة والجهاد في الثغور.

فالرباطات الأغلبية كرباط سوسة ورباط المنستر لم تكن ثكنة عسكرية جافة، بل دمجت وظيفة دفاعية بعبادة الاعتكاف وتدريس العلوم الشرعية ، ويظهر هذا التداخل الهيكلة في تخصيص مصليات جامعة واسعة متكاملة تحتوي على محاريب وقبلة محددة بدقة في الطوابق العلوية لتلك

1-سعيدان : آثار تونس، ص 10-30، إبراهيم: مظاهر الحضارة الإسلامية ،ص 16-17.

الحصون، ليتناوب المقاتلون بين حراسة الأسوار وأداء الصلوات[1] .

ومن جهة أخرى ، شكلت الإنجازات المائية في العمارة المدنية ركيزة لوجستية أساسية لضمان تشغيل واستدامة المنشآت الدينية والحربية، فكانت فسقيات الأغالبة في القيروان تغذي جامع القيروان الكبير عبر قنوات مائية متطورة لتأمين مياه الوضوء لآلاف المصلين، في حين زودت كافة الرباطات

الحربية بتجهيزات مدنية تعرف بـ المواجل وهب خزانات أرضية في وسط الصحون لتجميع مياه الأمطار لضمان صمود وديمومة الجنود أثناء الحصار العسكري الطويل.

وينصهر هذا التداخل الوظيفي في بوتقة واحدة من خلال وحدة التقنية التشكيلية والمواد، إذ اعتمد المعماري الأغلبي أسلوباً موحداً في إعادة تدوير الآثار الكلاسيكية عبر جلب الأعمدة والتيجان الرومانية والبيزنطية وتوظيفها متداخلة في بلاطات المساجد وقاعات القصور المدنية في مدينتي العباسية ورقادة، على حد سواء، هذا بالإضافة إلى غياب المبالغات الزخرفية الخارجية، مما صهر الأنماط الثلاثة في هوية بصرية أغلبية واحدة وفريدة[2] .

يرى الباحث أن ظروف الثغور فرضت هيمنة الوظيفة الدفاعية كغلاف حمائي يتداخل بنيوياً مع المنشآت الدينية والمائية لتأمين استقرار المنظومة الحضرية، ومن ثم ، لا يمثل الجانب العسكري انحيازاً تحليلياً بل الركيزة التي أتاحت لبقية الوظائف الاستمرار والتكامل.

1-إبراهيم : مظاهر الحضارة الإسلامية، ص 14- 15.

2-سعيدان: آثار تونس ، ص 14-27.

خاتمة:

من خلال ما سبق ، نستنتج أن العمارة في العهد الأغلبي لم تكن مجرد نتاج لاستجابات وظيفية منفتحة أو عفوية ، بل شكلت رؤية تخطيطية مستدامة واعية بذاتها، فقد أثبتت الدراسة أن التحول من التعددية الوظيفية للمنشآت (المدنية والدينية والحربية)، إلى مرحلة التكامل المنظومي قد تحقق عبر شبكات هندسية وبيئية ودفاعية بالغة التعقيد، برزت بوضوح في عبقرية المنظومة المائية للمواجل ونظام الإنذار المبكر للرباطات.

كما نجح المعمار الأغلبي في صهر الموروث المحلي الروماني والبيزنطي مع المؤثرات العباسية المشرقية، واضعاً بذلك لبنات الهوية الفنية المستقلة لبلاد المغرب الإسلامي التي توازن بدقة بين البساطة الإنشائية والفخامة البصرية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً–المصادر:

–ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد ت: 630ه/1233م):

1–الكامل في التاريخ، تح: محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، 1987م.

–الحموي(أبي عبد الله ياقوت ت: 622ه/1225م):

2–معجم البلدان ،دار صادر، بيروت ، د.ت .

–ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ت: 808ه/ 1406م):

3–العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، 2009م.

–الذهبي (محمد بن أحمد ت: 748ه/1374م):

4–سير أعلام النبلاء، تح: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط1، 1981م.

-أبو الفدا (إسماعيل بن محمد ت: 732هـ/ 1332م):

5- المختصر في أخبار البشر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، د.ت.

-القلقشندي(أحمد بن عبد الله ت: 820هـ/ 1418م):

6-مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الساتر فرج، عالم الكتاب، بيروت، د.ت .

-ابن الكازروني(علي بن محمد ت: 697هـ/ 1297م):

7- مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تح: مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد، 1970م.

-ابن وردان(عيسى ت: 160هـ/ 777م):

8- تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم، مطبعة مدبولي، القاهرة، ط1، 1988م.

ثانياً- المراجع:

-أحمد (عبدالرحمن حسب الله):

1-بنو الأغلب إدارتهم ودورهم الحضاري في إفريقيا، د.د ، د.م ،1999م.

-أحمد (علي):

2- تاريخ المغرب العربي الإسلامي، منشورات جامعة دمشق، سوريا،2006م.

-إبراهيم (عبد الحكيم):

3-مظاهر الحضارة الإسلامية في عصر الأغالبة بالمغرب العربي ، جامعة دنقلا، د.م ، د.ت .

-حسن (زكي):

4-اطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، مطبعة جامعة القاهرة ، مصر، 1956م.

-رزق(عاصم محمد):

5-معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي، مصر، ط1، 2000م.

-زيبب(نجيب):

6-الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، بيروت، 1997م.

-زيتون(محمد):

7- القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية ، دار المنارة، القاهرة، 1988م.

-سعيدان(عمر):

8-آثار تونس الإسلامية ومصادر الفن الإسلامي بأفريقية وتونس وليبيا، مؤسسة سعيدان للطباعة والنشر، سوسة، ط2، 1949م.

-الشهابي(قتيبة):

9-معجم دمشق التاريخي، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1999م.

-ضيف (شوقي):

10-عصر الدول والإمارات ، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

-عبد الحميد (سعد زغلول):

11-تاريخ المغرب العربي، دار المعارف ، مصر، 1993م.

-العروي(عبد الله):

12-مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط2، 2000م.

-عليان(ربحي مصطفى):

13-المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية ، دار صفاء للنشر، عمان، ط1، 1999م.

-المطالبي (محمد):

14-الدولة الأغلبية التاريخ السياسي، تر: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1995م.

-مؤنس (حسين):

15-معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، مصر، 2004م.

ثالثاً- الرسائل الجامعية:

-إدريس (سماح):

1-أثر الوضع السياسي في تباين العلاقات التجارية بين دويلات المغرب والأندلس ، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ، لم ينشر، جامعة حمص، 2022م.

-طالب (علي):

2-النشاط البحري في الغرب العربي الإسلامي منذ سنة (138هـ/ 756م) حتى (422هـ/ 1031م)، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ العرب والإسلام ، لم ينشر، جامعة حمص، 2024م.

العلاقات البينية بين المكونات السكانية في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي: دراسة تاريخية اجتماعية

تقديم: الباحث حسن فطراوي..

الملخص:

تتناول هذه الدراسة التاريخية الاجتماعية ديناميكيات العلاقات البينية ،والتعايش ،والتوتر بين المكونات السكانية المتنوعة (المسلمين ، وأهل الذمة من مسيحيين ويهود ، وغيرهم) في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، من خلال المنهج الوصفي والتحليلي ، تستعرض الدراسة جوانب التمازج الإداري والاقتصادي والفكري ، مستنتجة أن المنطقة شكلت بيئة من البراغماتية الاجتماعية والتعددية الثقافية التي صاغت حضارة العصر العباسي الثاني رغم التوترات السياسية العارضة التي شهدتها المنطقة.

الكلمات المفتاحية: المشرق الإسلامي – العلاقات – القرن الثالث– التاريخ.

Abstract:

This socio-historical study examines the dynamics of inter-communal relations, coexistence, and tension among diverse demographic components

(Muslims, *Ahl al-Dhimmah* including Christians and Jews, and others) in the Islamic Mashriq during the third century AH / ninth century CE. Utilizing a descriptive and analytical approach, the study reviews aspects of administrative, economic, and intellectual integration. It concludes that the region formed an environment of social pragmatism and cultural pluralism that shaped the civilization of the second Abbasid era, despite occasional political tensions.

Keywords: The Islamic Mashriq – Relations – The Third Century – History

مقدمة:

شهد المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي ، تحولات ديموغرافية واجتماعية عميقة ، تزامنت مع تراجع النفوذ المباشر للخلافة العباسية المركزية وصعود السلالات والإمارات الإقليمية المستقلة وشبه المستقلة ، ولم يكن هذا العصر مجرد مرحلة انتقال سياسي ، بل كان معملا تاريخيا فريدا للتعددية الثقافية والدينية ، حيث عاشت المكونات السكانية المتنوعة في بيئة جغرافية واحدة جمعت بين أغلبية مسلمة متنامية ، وبين جاليات مسيحية ويهودية عريقة، إلى جانب جيوب دينية أخرى.

لم تكن العلاقات البينية بين هذه المكونات السكانية مجرد صلات عابرة فرضتها الجغرافية، بل كانت شبكة معقدة من التفاعلات التي تراوحت بين التعايش السلمي والاندماج الاقتصادي والإداري والفكري من جهة، ومظاهر التوتر والنزاع الناتجة عن التحولات السياسية والطبقية من جهة أخرى .

وتكتسب دراسة هذا النسيج الاجتماعي أهمية بالغة في تفكيك البنية الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية الوسيطة ، وفهم آليات الاستيعاب الحضاري بعيدا عن السرديات التقليدية التي تختزل التاريخ في صراع الحكام والجيوش.

مشكلة البحث:

تتجلى إشكالية البحث في سؤال مركزي : كيف تشكلت ديناميكيات العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية بين المسلمين وأهل الذمة (المسيحيين واليهود) والمكونات الدينية الأخرى في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري؟

وينبثق من هذا التساؤل عدة أسئلة فرعية: ما هي المساحات المشتركة التي جمعت هذه المكونات في مجالات الإدارة والتجارة والمناظرات الفكرية؟ وكيف أثرت السياسات التشريعية المركزية (مثل قرارات المتوكل) على واقعهم الاجتماعي في الأقاليم المشرقية؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في تقديم دراسة تفكيكية للبنية الاجتماعية للمشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، متجاوزا السرد التقليدي نحو تحليل العلاقات الاجتماعية والاقتصادية اليومية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى فهم التفاعلات التاريخية والحضارية والسياسية المعقدة بين المكونات السكانية في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، والتي شملت فترات من الصراع والتنافس، وفترات أخرى من التعايش والتسامح والتبادل الثقافي والعمراني.

حدود البحث:

تتمثل الحدود المكانية للبحث في أقاليم المشرق الإسلامي وتحديداً (خراسان وبلاد فارس وبلاد ما وراء النهر والعراق)، وتنحصر الحدود الزمانية في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي.

الإطار النظري للبحث:

يتلخص الإطار النظري للبحث في مدخلين : نظرية التعددية لتفسير كيفية تعايش المكونات الدينية المختلفة مع الحفاظ على هوياتها الخاصة، ونظرية التفاعل الاجتماعي لتحليل العلاقات اليومية والعملية

(الاقتصادية والفكرية) التي شكلت أداة لدمج هذه المكونات وبناء الاستقرار المجتمعي في المشرق الإسلامي.

منهج البحث:

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الأصول والمصادر الكتابية، من أجل الوصول للنتائج الصحيحة ، واستقراء كافة المعلومات الواردة في المصادر والمراجع العربية.

أولاً– المقاربة الجغرافية والإدارية لإقليم المشرق:

ارتبط اصطلاح بلاد المشرق الإسلامي بالثقل السياسي والإداري الذي حظيت به بغداد كحاضرة للخلافة العباسية ومحور للدولة [1]، ويعد قدامة بن جعفر صاحب كتاب الخراج وصناعة الكتابة من أوائل من رسخوا هذه التسمية بناءً على المركزية الاقتصادية والإدارية للعاصمة وسيرورة الأقاليم التابعة لها[2]، ولا سيما أن بغداد كانت تمثل عاصمة الدولة العربية الإسلامية

باعتبارها المركز السياسي والاقتصادي والإداري الذي تتبعه بقية الأمصار[3]، وقد تباينت الرؤى الجغرافية في رسم الحدود الدقيقة لهذا الإقليم ، فابن رسته الذي يعد أول من ذكر حدود المشرق الإسلامي في كتابه (الأعلاق النفيسة) أشار أن حدود المشرق تبدئ من بغداد ، وتنهي عند اخر حدود بلاد فارس[4]، بينما وسع ابن الفقيه الدائرة الجغرافية لتمتد من أرض الصغد[5] إلى أرض الترك[6].

1-العلاق (كاظم ستر الخلف): إدارة أقاليم المشرق في العصر العباسي الأول ، دار الكتب والوثائق، بغداد،ط1، 2017م، ص 13 .

2-بن جعفر (قدامة ت: 337هـ / 948م): الخراج وصناعة الكتابة ، تح: أحمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م، ص 95 .

3-العلاق: إدارة أقاليم المشرق، ص13.

4-ابن رسته (أحمد بن عمر ت: 290هـ): الأعلاق النفيسة، د.د، ليدن ، د.ت، مج7، ص 97.

5-الصغد:بلدة في ما وراء النهر ببلاد فارس، الحموي (ياقوت بن عبدالله ت:626هـ):معجم البلدان، دار صادر ،بيروت،د.ت، ج3، ص409.

6-ابن الفقيه(أحمد بن محمد ت: 290هـ) : مختصر كتاب البلدان ، دار صادر، بيروت ، ط2، د.ت،

ثانياً- ملامح النسيج السكاني والكتل الديموغرافية للمجتمع المشرقي:

ظهر في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، العديد من العناصر السكانية، وكان لها أثر كبير في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية في ذلك العصر، وسيتم في هذا المبحث الحديث عن هذه العناصر ، مبتدئين أولا بالعرب ثم الفرس والأتراك والأكراد وغيرهم من المكونات التي ظهرت في بلدان المشرق الإسلامي.

أ-العرب:

أجمعت المصادر التاريخية على أن العرب من نسل سام بن نوح[1] عليه السلام ، وهو أبو العرب كما تسميه[2] ، ويرجع وجودهم في المشرق قبل الإسلام بحقب طويلة وساعد على ذلك طبيعة المنطقة ، إذ كانت هجرات العرب إلى الساحل الشرقي من الخليج فردية تارة وجماعية

تارة أخرى وبهجرات مستمرة ، إذ وجدو في المشرق مبتغاهم[3] ، ولا سيما أن ما يتوقون إليه من حرية حياتهم في الجزيرة كانت تتسم بالصعوبة ،وسكن في المشرق الإسلامي الكثير من القبائل العربية ومنها قبيلة الأزد وقبيلة بكر بن وائل وقبيلة تغلب وقبيلة عبد القيس وقبيلة تميم بن مر[4].

وكان نزوح القبائل العربية إلى المشرق عبر معبرين الأول عن طريق الخليج العربي[5] والممر

1-القرطبي(يوسف بن عبدالبر ت:463هـ): القصد والأمم في التعريف بأصول وأنساب العرب والعجم ومن أول من تكلم بالعربية من الأمم ، مكتبة القدسي، القاهرة، 1931م، ص 8-9 .

2-ابن الأثير(عز الدين الجزري ت: 630هـ): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1987م، ج1 ، ص 30.

3-العاني(عبدالرحمن بن عبدالكريم): عمان في العصور الإسلامية الأولى ، دار الحكمة ، لندن، ط1، 1999م، ص 96-97.

4-كحالة(عمر رضا):معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، المكتبة الهاشمية، دمشق،1949م،ج1،ص15-93-126.

4-فوزي(فاروق عمر): الوسيط في تاريخ الخليج العربي في العصر الإسلامي الوسيط، د.د، د.م، د.ت ، ص 24.

الثاني عن طريق ميسان[1]، إذ توغل العرب شرقاً إلى الأحواز[2] ثم إلى الأقسام الجنوبية من إقليم فارس[3].

ب- الفرس:

تضاربت الأقوال حول أصل الفرس فقيل أنهم من نسل يافث بن نوح[4] عليه السلام ،ومنهم من يقول أنهم من نسل أميم بن لاوذ بن سام بن نوح[5] ،والبعض ينسبهم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام[6] .

ويعود وجودهم في المشرق إلى مطلع الألف الأول قبل الميلاد، إذ كانوا يسكنون في الجهات الشرقية والجنوبية لبحر قزوين ، ثم اتجهوا إلى المناطق الأخرى جنوب غرب إيران واستقروا في إقليم فارس[7].

وهم الشعب الرئيسي في المشرق، وأهل سياسة وسلطان، وقد أنشأوا الدول وساسوا الناس ووضعوا الأحكام من قديم الزمان، وضخموا دولتهم حتى حاربوا اليونان والرومان، ونبغ فيهم القواد والعلماء والحكام وترجموا العلم والفلسفة وكان لهم شأن كبير في التاريخ القديم[8].

1-ميسان: أسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 242.

2-الأحواز: من نواحي بغداد من جهة النهروان، الحموي : معجم البلدان،ج1، ص 117.

3-البكر(منذر عبدالكريم) : الجذور التاريخية لعروبة الأحواز قبل الإسلام، د.د ، د.م ، 1981م ، ص7.

4-المسعودي(علي بن الحسين بن علي ت:346هـ): أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس، بيروت، 1996م، ص100.

6-القلقشندي(أبي العباس أحمد ت: 821هـ):صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م، ص369.

7-البكري(عبدالله بن عبدالعزيز ت:487هـ): المسالك والممالك، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص39.

8-زيدان (جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م، ج4 ، ص145.

ت- الأتراك:

لم يختلف أوثق المؤرخين القدامى في أصل الترك وإرجاع نسبهم إلى يافث بن نوح عليه السلام[1] ، والترك أجناس وقبائل كثيرة وهم بدو حرفتهم الرماية والصيد، وكان أغلبهم من المجوسية ومنهم من تهود ومنهم الشامانيون الذين يعتقدون بوجود إله للسماء وآخر للأرض، كما عرفوا المسيحية النسطورية التي حملها إليهم المبشرون[2] .

وقد نزلوا في سمرقند[3] في القرن الأول الهجري، وتحضروا على مر الزمان ،وسموا بالهون الأبيض ، وأسماهم الساسانيون[4] ،الهياطلة، وعرفوا في الكتب العربية بهذا الاسم ، وجلبهم الفرس في المشرق على شكل جند ، وكثر عددهم وبرزوا وأثبتوا كفاءتهم في الحروب وفي الجندية ، وتدرجوا حتى وصلوا إلى قادة عسكريين أقوياء ، وأقاموا دول عدة[5] .

ث- الأكراد:

تباينت الآراء في تحديد أصل الأكراد فالبعض يرى أنهم من مضر بن نزار وأنهم نسل كرد بن مرد بن صعصعة بن هوزان ، ومنهم من رأى أنهم من نسل ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان[6]، في حين رأى آخرون أنهم من نسل بني إيران بن أشور بن سام بن نوح عليه السلام[7] .

1-ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج1، ص30، الزهري (محمد بن سعد ت:230هـ): كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2001م، ج1، ص26.

2-المسعودي: أخبار الزمان، ص99.

3-سمرقند :بلدة في ما وراء النهر ، الحموي : معجم البلدان ، ج3، ص 248.

4-الساسانيون: ينتسبون إلى ساسان الذي كان كاهنا في مدينة اصطخر وبرزوا على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى القديم في أوائل القرن الثالث الميلادي بعد أن أصبحت بلاد فارس تحت حكم الأسرة الساسانية، آرثر(كريستنس): إيران في عهد الساسانيين ،تر: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية ، بيروت، د.ت، ص74-76.

5-الفقي(عصام الدين): الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي،دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م، ص274.

6-البكري: المسالك والممالك، ج1 ،ص 44.

7-القلقشندي: صبح الأعشى، ج1، ص 369.

ويذكر ابن حوقل في كتابه (صورة الأرض) أنهم من العرب وأن أكثرهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر[1] .

وكان الأكراد يشكلون قوة إلى جانب قوة الفرس ، وقد قتل الكثير منهم في حروب صدر الإسلام .

ج- لمحات تعريفية عن الفئات الاجتماعية الأخرى بالمشرق:

اتسعت بنية المجتمع في المشرق الإسلامي إبان القرن الثالث الهجري لتتجاوز الكتل الديموغرافية الكبرى من عرب وفرس وأكراد وأتراك ، حيث ضمت المنطقة خليطاً بشرياً متنوعاً شمل الروم، واليهود والزنوج وطبقات الرقيق ، وتتضح معالمها وفق الآتي:

1-الروم:

ينسب الروم تاريخياً إلى سام بن نوح عليه السلام[2]، ويعود وجودهم في المشرق خلال العهد الساساني ، إذ تمكن أحد الملوك الساسانيين من إلحاق هزيمة كبيرة بإمبراطور الروم وأسره ومع الألاف من جنوده[3].

كما أسفرت جولات الصراع العسكري المتواصلة بين المسلمين والبيزنطيين عن وقوع مجاميع كبيرة من الروم في الأسر وتحولهم إلى الاسترقاق ، فانتشر المماليك الروم تبعاً لذلك من رجال ونساء وغلمان في بيوت الخلفاء والأغنياء[4] .

1-ابن حوقل(أبي القاسم بن حوقل النصيبي ت: 367هـ): صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1992م، ص 240.

2-البكري: المسالك والممالك، ج1 ، ص 41.

3-بيرنا(حسن) :تاريخ إيران من البداية حتى نهاية العهد الساساني ، تر: محمد نور الدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013م، ص 332.

4-سرور(محمد): تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، د.م، د.ت، ص171-172.

2-اليهود:

يمثلون الجماعة المعتنقة لرسالة النبي موسى عليه السلام والمتبعة لسفر التوراة المنزل عليه[1]،وكان أعداد اليهود كبيرة في المشرق ، إذ كان في العراق عدة مجموعات يهودية ، وكانت بغداد موطن رئيس الطائفة الإسرائيلية ومركز اليهود الأول، وعمل اليهود بالتجارة والصيرفة، كما كان منهم الموظفون الإداريون أيضا[2].

3-الزنوج:

أطلق المؤرخون هذا الاسم على العبيد المنتفضين الذين أثاروا الفزع والرعب في القسم الأدنى من أرض العراق خمسة عشر عاماً 225هـ/869م إلى 270هـ / 884م[3] .

وكانوا يجلبون إلى المشرق الإسلامي من السواحل الشمالية الشرقية لإفريقية للخدمة أو للعمل في المزارع والمعامل[4].

وكان الجيش العباسي يضم طائفة من الزنوج ، كما اشتغل كثير منهم في خدمة قصر الخلافة وامتلأت القصور وبيوت أوساط الناس بالزنجيات[5] .

4-الرقيق:

شكلت هذه الفئة الاجتماعية أحد أكثر المكونات نمواً وتزايداً من الناحية العددية في بيئة المشرق الإسلامي ،إذ غدت قصور الخلافة ومنازل الأمراء والوجهاء والطبقات الميسورة حاضنة لشرائح واسعة من الرقيق ، وبشكل أخص فئة الجواري اللواتي ينحدرن من أجناس مختلفة و متنوعة[6] .

1-القلقشندي: صبح الأعشى، ج13، ص 253.

2-متز(أدم): الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبدالهادي، دار الكتاب العربي، بيروت ،ط5، د.ت، مج2،ص 383،الدوري(عبدالعزيز): تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، د.ت، ص38.

3-عثماني: الحياة الاجتماعية، ص 104.

4-الدوري: تاريخ العراق، ص 39.

5-سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص 172-175.

6-سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية ،ص 170.

وفي السياق ذاته ،تسابق الولاة والقادة بالمشرق على اقتناء الرقيق بهدف إلحاقهم بالمؤسسة العسكرية لما عرف عنهم من مهارات وجدارة حربية كبرى1.

من خلال ما سبق ، يلاحظ أن منطقة المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري شهدت انفتاحات وتحولات سياسية ودينية وثقافية، تخللها دخول مؤثرات خارجية مختلفة اندمجت مع الثقافة العربية، ومن هذه المؤثرات من كان أهدافها السياسية واختلافاتها المذهبية ، فرضتها طبيعة الحياة في الدولة العباسية.

ثالثاً- حركية الروابط الاجتماعية ومظاهر التعايش البيني في المشرق الإسلامي :

شكلت الدولة العباسية بيئة حضارية متميزة اتسعت لرقعة جغرافية شاسعة ،ومثلت عاصمتها بغداد مركزاً رئيسياً لتطبيق القوانين والعهود المنظمة لشوؤن المجتمع، وضمن هذا الفضاء المشرقي تداخلت المكونات السكانية من مسلمين ومسيحيين ويهود عبر عقود طويلة ،مما أنتج نموذجاً حيوياً للتعايش التعددي ،ويأتي هذا الباب من المقال ليوضح طبيعة هذه الروابط البينية والاجتماعية في المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

أ-التفاعل المجتمعي والسياسي بين المسلمين والنصارى :

من المعروف أن المسيحيين(النصارى) كانوا يعيشون في ذمة المسلمين بموجب عهود كانت ترعى مصالحهم مقابل جزية يؤدونها عن رؤوسهم.

1-الفقي : الدول المستقلة، ص276.

2-نور(العبد) :رسائل الرسول ﷺ إلى ملوك الدول المجاورة (النجاشي-هرقل-كسرى)، مجلة جامعة حمص، العدد41، 2017م، كلية الآداب والعوم الإنسانية ،سوريا، 2017م، ص141.

اتسمت المعاملة الرسمية من قبل السلطة العباسية حيال الرعايا النصارى بالمرونة والإنصاف ، ونال عدد من رجالهم حظوة ومكانة رفيعة لدى البلاط العباسي ، غير ان هذا المناخ التصالحي كان يمر أحياناً ببعض التموجات والتبدلات المتأثرة بالمؤثرات الخارجية – وعلى رأسها الصراع الحربي

والسياسي مع الإمبراطورية البيزنطية – إلى جانب اعتبارات داخلية ارتبطت بمدى انصياع الجماعات المسيحية للنظم والقوانيين السائدة في الخلافة العباسية[1].

وتؤكد الشواهد التاريخية منذ مطالع العصر العباسي الحضور النصراني البارز في الدوائر اللصيقة بالخلافة ، فقد كانت إحدى جواري المهدي[2]، تعلق صليباً في صدرها وترتدي ردائها القومي[3] ، واستخدمت الخيزران[4]، نصرانياً على الطراز في الكوفة[5] .

وتولى المسيحيين الكتابة والجهبذة[6]، وتولى نصرانيان كتابة ديوان الجيش في الدولة الطاهرية وعملوا في الخراج والتجارة والصيرفة والوظائف الديوانية.

وبالرغم من استمرار الاعتماد على الكفاءات النصرانية في الدواوين والمؤسسات الرسمية لحقب مديدة ،إلا أنهم واجهوا في بعض الفترات إجراءات مشددة من بعض الخلفاء نتيجة لظروف سياسية معينة ،ومثال على ذلك ما أصدره الخليفة هارون الرشيد وهو في مواجهة البيزنطيين ، بأخذ المسيحيين في بغداد بمخالفة هيئتهم هيئة المسلمين في لباسهم وركوبهم[7] .

1–عارف(رفاه تقي الدين): العامة في بغداد في العصر العباسي الأول والثاني، مجلة جامعة بغداد، مج7 ، العدد25، 2011م ، جامعة بغداد ، العراق، 2011م، ص 159،

2–المهدي: أبو عبدالله محمد بن المنصور ولد سنة 127هـ ومات سنة 169هـ ،السيوطي(جلال الدين عبدالرحمن ت:911هـ): تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم ، بيروت، ط 1، 2003م، ص216.

3-الدخيل(سليمان): الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003م، ص27.

4-الخيزران: هي زوجة الخليفة المهدي المتوفي سنة 169هـ، السيوطي: تاريخ الخلفاء،ص222.

5-سعد(فهمي):العامة في بغداد في القرنيين الثالث والرابع للهجرة دراسة في التاريخ الاجتماعي،دار المنتخب العربي،بيروت ، ط1993،1هـ، ص152.

6-الجهبذة:تعني الخبير بالأمور بين جيدها ورديئها، مسعود(جبران): الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين ،بيروت، ط7 ، 1992م، ص284.

7-سعد : العامة في بغداد، ص 152.

وأعاد الخليفة المتوكل سنة 235هـ -849م، أخذ المسيحيين بلباس الطيالسة[1] العسلية والزنانير والركوب بالسروج، ونهى أن يستعان بهم في الدواوين وأعمال السلطان التي تجري أحكامهم فيها على المسلمين[2] ،وألا يتعلم أولادهم في كتاتيب المسلمين، ولا يعلمهم مسلم[3] ونهى أن يظهروا في شعانينهم صليباً ، وأمر بتسوية قبورهم مع الأرض ، وأعاد المتوكل سنة 239هـ- 853م ، تأكيد أمره باللباس والمركوب ، وزاد على ذلك أمره بهدم البيع المحدثة في الإسلام[4] .

وفي سنة 296هـ - 908م ، أمر المقتدر بالله[5] ألا يستخدم أحد منهم إلا في الطب والجهبذة وأن يطالبوا بلبس العسلي وتعليق الرقاع المصبوغة على أظهرهم[6] .

ويستنتج من الاستقراء التاريخي أن القرارات المتشددة التي اتخذها بعض الخلفاء بحق النصارى لم تكن عفوية ، بل جاءت مدفوعة بهواجس أمنية وقضايا تمس سلامة الدولة واستقرارها، فإن موقف الرشيد كان يعبر عن ضيقه بالوضع المضطرب على الحدود الإسلامية البيزنطية، وكان المتوكل يعاني من صراع على السلطة مع الأتراك، فكانت اجراءاته ضد المسيحيين إحدى الوسائل التي لجأ إليها تقرباً من العامة، كما جاءت إجراءات المقتدر في بداية عهده بهدف تعزيز مركزه لدى العامة بعد أحداث انقلاب سنة 296هـ- 908م.

ومع ذلك ،فإن تلك الإجراءات المشددة تبقى استثنائية ، بدليل المكانة التي توصل إليها النصارى، فقد كانوا

1-الطيالسة: هو كساء أخضر لا تفصيل له ولا خياطة، مسعود: الرائد معجم لغوي، ص 528.

2-اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب ت:292هـ): تاريخ اليعقوبي، المكتبة المرتضوية، النجف، 1358م، ج2،ص211.

3-فييه(جان موريس): أحوال النصارى في خلافة بني العباس، تر: حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ط1، 1990م، ص145.

4-سعد: العامة في بغداد، ص 153.

5-المقتدر: أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولد سنة 282م ومات سنة 320هـ، السيوطي :تاريخ الخلفاء،ص300.

6-ضيف(شوقي): العصر العباسي الثاني، دار المعارف، القاهرة، ط2، د.ت، ص66،إدريس (سماح):أثر الوضع السياسي في تباين العلاقات التجارية بين دويلات المغرب والأندلس، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ، لم ينشر، جامعة حمص ، سوريا ، 2022م، ص 83.

رجال المال في القرن الثالث الهجري[1] ، وكانوا أرباب مهنة الطب، فقد برعوا في تشخيص الأمراض، ووضع العلاج لها، ونقلوا الكتب الطبية اليونانية إلى العربية[2] ، ومارسوا حياة عادية لا يختلفون عن غيرهم، وكانوا يتقدمون من القاضي المسلم لينظر في دعاواهم ، كما دخلوا حمامات المسلمين، وأفادوا أحياناً من الصدقات التي تعطى للمحتاجين[3] .

وكان المسلمون يشاركون المسيحيين في أعيادهم ، التي كانت مظهراً من مظاهر البهجة، وبلغ من تسامح بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ، ويأمر بصيانها[4] .

لقى المسيحيين عنت متشددي المسلمين في أيام الإضرابات السياسية، ففي سنة 271هـ – 884م ، وثب العامة على المسيحيين وخربوا الدير العتيق[5] ، وانتهبوا كل ما فيه من متناع، وقلعوا الأبواب والخشيب، وسار إليهم صاحب الشرطة ومنعهم من هدم الباقي[6] .

وبالرغم من الصعوبات التي لقيها المسيحيين والتي تصل أحياناً إلى درجة الحقد المدمر فإن المسيحيين تمتعوا في ظل العهد العباسي بمركز أفضل بكثير من الذي كان عليه بعض الجماعات الإسلامية[7] ،وهو ما بينته تلك المحاورات الدينية التي كانت تجري بين المسلمين والمسيحيين لأن المحاورات لم تكن لتتم بين أعداء يريد بعضهم تدمير بعض، وبالفعل فقد ترك كثير منهم عقد

1-سعد: العامة في بغداد، ص 153.

2-الدخيل: الفوز بالمراد، ص 71.

3-سعد :العامة في بغداد، ص 153.

4-الدخيل: الفوز بالمراد، ص69.

5-الدير العتيق: من ديارات النساطرة في بغداد ،يقع في جنوب قصر الخلد، محيميد(وسن): كنائس واديرة بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية التربية للبنات، مج29، العدد7، 2018م، جامعة بغداد، العراق، 2018م، ص77.

6-سعد:العامة في بغداد، ص155.

7-عارف :العامة في بغداد ،ص166.

الزنانير ، وأمتنع كثير من كبرائهم من آداء الجزية، وأنفوا مع اقتدارهم من دفعها ، وسبوا من سبهم وضربوا من ضربهم[1].

ونستخلص مما سبق، أن ما بلغته الحضارة الإسلامية في المشرق الإسلامي من تطور ونضج ورقي هو بالأساس ناتج عن تنوع الجسم الاجتماعي والتمازج الثقافي وتقبل الغير والتسامح الديني.

ب-واقع الصلات والمعاملات اليومية بين المسلمين واليهود:

خضع أبناء الطائفة اليهودية لذات الأحكام القانونية والشرعية التي طبقت على النصارى داخل المجتمع الإسلامي .[2] .

وتشير المعطيات التاريخية إلى أن التسامح الديني والمذهبي كان السمة الغالبة على سياسة معظم خلفاء بني العباس ،مما أتاح لليهود مناخاً ملائماً للعيش والاستقرار ومشاركة بقية المكونات السكانية في مظاهر الطمأنينة والازدهار التي شهدتها الدولة العباسية إبان عصورها الأولى [3].

ومن المعروف أن الرئاسة عند اليهود كانت وراثية ، وكان رؤساؤهم يلقبون بلقب (الملك) ،وكان رئيس اليهود المسمى (برأس الجالوت) يقيم في بغداد، بعد أن أصبحت العاصمة الإدارية والسياسية ،وليس لدينا الكثير من أسماء الموظفين اليهود في الإدارة العباسية، إذ أن السيطرة المسيحية وتقاليد رجالها في الكتابة حالت دون استخدام اليهود بكثافة داخل الإدارة.

1-سعد: العامة في بغداد، ص 155.

2-عارف: العامة في بغداد، ص159.

3-نايف(فائزة): يهود العراق وأماكن استيطانهم ،مجلة كلية الآداب، العدد101،د.ت، جامعة بغداد، العراق، د.ت، ص403.

ويبرز في هذا السياق الفلكي الشهير(ما شاء الله) اليهودي ، الذي عد من الطواقم العلمية المقربة من الخليفة المنصور، الذي كان عارفاً بأمور الكواكب والنجوم وأوحد زمانه في رصد النجوم[1] ،وتمكن أثرياء اليهود من الوصول إلى مركز ثابت بتعاطيهم مع رجال الدولة، فقد كانوا يحتفظون بوظيفة الجهبذة طول حياتهم[2] .

كان اليهود يدفعون جزية بمعدل دينار واحد في العام، وكانت هذه الجزية تذهب إلى الطائفة اليهودية نفسها، فكان رأس الجالوت يخصص بمبلغ 700 دينار سنوياً ، وقدر عدد دافعي الجزية من اليهود في بغداد بألف شخص، إلا أن مبلغ المساعدة التي كانت تعطى لرجال الدين اليهود والبالغة 2200دينار سنوياً، تعني أن هناك 2200 رجل على الأقل يدفعون الضريبة، مما يعني أن، عدد اليهود يبلغ 10 – 11 ألفاً[3].

وطالت القرارات المتصلة ب(الغيار) الجماعة اليهودية إبان عهد المتوكل ،الذي يذكر أنه كان عسلي اللون لكي يتم تميزهم عن المسلمين وتزامن ذلك مع صدور توجيهات تقضيب هدم معابدهم المحدثة وتسوية قبورهم مع التربة، وأن لا يستعان بأحد منهم في شيء، ومنعوا من العمارة[4] .

كان حظ اليهود بالاحترام أقل من المسيحيين، وأرتبط ذلك بوضاعة مهنهم التي كانوا يزاولونها ،حيث كانوا يعملون في الصباغة والدباغة والقصابة، فلما رأت العوام اليهود على ذلك توهمت أن دين اليهود في الأديان كصناعتهم في الصناعات وأن كفرهم أقذر الكفر،إذ كانوا هم أقذر الأمم.

ومن مظاهر استخفاف العامة باليهود، زعمهم أن الفأرة كانت ساحرة يهودية، والأرضة يهودية،ولذا كان اليهود يلطخون أجذاع الأشجار بدم الجذور الذي كان محرماً عليهم ، وعمت العامة أن الضب يهودي، حتى أن بعض القصاص قال لرجل أكل ضباً : أعلم أنك أكلت شيخاً من بني إسرائيل[5] .

1-الدخيل: الفوز بالمراد، ص 73.

2-سعد: العامة في بغداد، ص156.

3سعد: العامة في بغداد، ص157.

4-الطبري : تاريخ الرسل والملوك ،ج9، ص 174، اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص212.

5-الدوري: تاريخ العراق، ص38.

وكان اليهود جماعة محافظة، اتهموا بأنهم أعرضوا عن الفلسفة وعلوم الكلام، وكان الرؤساء الدينيون يقومون بالدفاع عن التقاليد الدينية اليهودية كلما احتاجوا إلى ذلك، معتمدين على تفسيرات متشددة لتعاليم اليهود.

عمل اليهود في المشرق الإسلامي بالصيارفة والاتجار بالعملة، إضافة إلى الخياطة والصياغة والخرازة، وكان صبيانهم يبيعون الحلوى في الشتاء ، وكان يسمح للصبيان بالعمل في أوقات الصلاة[1] .

وكان اليهود يمارسون شعائرهم بحرية تامة، ولم تتدخل الحكومة الإسلامية فيهم، بل كان يبلغ من تسامح بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم، مما يدل على أن الخلفاء العباسيين كانوا على جانب عظيم من التسامح الديني مع اليهود[2] .

وخلاصة القول، ان وجود اليهود في ظل حكم المسلمين يرجع إلى سيادة العدل ، والمعاملة الحسنة والتسامح بين بعضهم البعض، ووجود فرص متكافئة للجميع حسب خبراتهم، وفي المقابل، ارتبطت توجهات الخلفاء العباسيين إزاء الكتل اليهودية بالمتغيرات السياسية والسياقات التاريخية المحيطة ، إذ كان بروز الاضطرابات والفتن الداخلية يستدعي الحسم وبسط الهيبة، بينما شكلت فترات السكينة والهدوء السياسي مناخاً مثالياً لاستقرار الروابط وسلامتها وتكاملها مع المحيط العام .

1-متز: الحضارة الإسلامية، مج2، ص383.

2-حسن(إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996م، ج3، ص76.

ت-السياسة التشريعية والمجتمعية تجاه أهل المعتقدات المتنوعة:

تعاقب على بلدان المشرق الإسلامي في القرن الثالث الهجري ، معتقدات دينية أخرى، كالصابئة والمجوس الذين كان لهم بعض الأثر في علاقاتهم مع المسلمين، وفي هذا المبحث سيتم توضيح طبيعة هذه العلاقة.

1-وضع الطائفة المندائية (الصابئة):

يقول الشهرستاني عن الصابئة، وفي اللغة صبأ الرجل إذا مال وزاغ ، فبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيفهم عن نهج الأنبياء ، قيل لهم الصابئة[1] ،وبالتالي هم قوم لا نصارى ولا يهود ولا دين لهم ، وقيل الصابئة بين المجوس واليهود[2].

وقد كانوا يمثلون أقلية ضئيلة يعيشون حياة شبه عزلة، ويحتفظون بتعاليم عقائدهم السرية، ولا يختلطون بغيرهم ولا يصاهرون من يختلف عنهم في الدين وكان موقف المسلمين منهم موقفاً مناهضاً لهم وذلك يعود إلى تعاليمهم المنافية للشرع والأخلاق.

هناك فرقتان من الصابئة الحرانية والصابئة المندائية، فالصابئة الحرانية نسبة إلى مدينة حران، وهم فرقة معروفة بعبادة الكواكب مثلهم مثل عبادة الأوثان، ويرجع سبب تسميتهم بالصابئة إلى عهد الخليفة العباسي المأمون لأن المأمون عندما غزا البيزنطيين مر بديار مضر[3]،فوجد جماعة من الحرانيين ، فسألهم من أنتم؟ من الذمة فقالوا نحن الحرانية، فقال أنصارى أنتم؟ فقالوا لا، قال أيهود أنتم ؟ قالوا لا ، قال فمجوس أنتم ؟ قالوا لا ، قال لهم أفلكم كتاب أم نبي فترددوا في القول ، قالوا لا، فقال لهم إذن أنتم زنادقة عبدة الأوثان وإن دماءكم حلال لا ذمة لكم، فاختاروا الآن أحد أمرين إما أن تدخلوا الإسلام

أو دين من الأديان التي ذكرها الله في كتابه ، وإلا قتلتكم، فقال لهم إني سأنتظر ما تفعلون إلى أن أرجع من سفرتي هذه ، ورحل المأمون قاصداً بلاد الروم

1-الشهرستاني(محمد بن عبدالكريم ت: 548هـ): الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي فاعور، دار المعرفة ، بيروت، ط3، 1993م، ص307.

2-عثماني: الحياة الاجتماعية، ص122.

3-ديار مضر: وهي ما كان في السهل بقرب من شرقي الفرات نحو حران والرقة وسروج، الحموي: معجم البلدان، ج2، ص494.

فاقترح أحد شيوخ أهل حران عليهم أن يجد لهم مخرجاً لكي يسلموا من القتل،فقال لهم إذا رجع المأمون فقولوا له نحن الصابئون فهذا اسم دين قد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم وبذلك تنجون من القتل وشاءت الاقدار ان يموت المأمون بسفرته هذه [1]،فضلوا على تسميتهم بالصابئة ،لان لم يكن بحران ونحوها قوم يسمون بالصابئة قبل ذلك.

أما الفرقة الثانية من الصابئة هم الصابئة المندائية فهم فرقة ظهرت في فلسطين قبل السيد المسيح وقد اطلق عليهم العرب اسم (المغتسلة) لن دينهم يقضي أن يغتسلوا في الماء الجاري ،لذلك يسكنون على ضفاف الأنهار ،وتوجد هذه الفرقة في إقليم الأهواز في إيران وفي كثير من المدن العراقية[2].

واشتهر من الصابئة علماء وكتاب ومؤرخون وتولوا بعض المناصب في الدولة العباسية وتذكر المراجع العربية ان ليس للصابئة أي طموح سياسي ،وهم يتقربون الي أصحاب الديانات الأخرى بنقاط التشابه الموجودة بينهم وبين الآخرين ،ولم يكن اختلاف الدين والملة عائقاً عن التعايش السلمي ،وبناء علاقات حميمة بينهم وبين رجال عصرهم ،بل كان الخلفاء العباسيين يقربون الرعية على أساس صفة الانسان لا الدين ولا العادات[3] .

2-الحريات الدينية والحضور المجتمعي لأتباع الزرادشتية (المجوس):

يشير مفهوم المجوس لغوياً إلى أصول فارسية، ويقصد به طائفة بشرية متميزة بعباداتها الخاصة التي تتمحور حول تقديس النار[4] ، وقيل المجوس في الأصل النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات، والمجوس من أقدم الطوائف وأصلهم من بلاد فارس، وقد نبغوا في علم النجوم[5].

1-السيوطي: تاريخ الخلفاء ،ص249.

2-عارف: العامة في بغداد ،ص163.

3-عثماني: الحياة الاجتماعية،ص 122.

4-فياض(عطية): فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة دراسة فقهية مقارنة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1999م،ص 19.

5-الشهرستاني: الملل والنحل، ص 274.

واختلفت الآراء حول معنى كلمة المجوس وهي تعني عبدة النار، وهي كلمة فارسية أطلقت عليهم منذ القرن الثالث للميلاد وكانوا يعبدون الشمس والنار معا[1] .

وبما أنهم عبدة نيران قالوا أن للعالم أصلين نور وظلمة[2] ، ويعتقدون كذلك أن هناك قوتين الخير والشر، وأن الخير من فعل النور والشر من فعل الظلام أي أن دينهم ومذهبهم يعتمد بشكل كلي حول هاتين القاعدتين[3].

ولقد جاء ذكرهم في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شيء شهيد ﴾[4] ،ومن أهم الطوائف المجوسية (الزرادشتية) نسبة إلى زرادشت بن إبسمان وقد عاش في القرن السابع قبل الميلاد تقريباً ، وكان مسقط رأسه بحسب ما أشار إليه بعض المؤرخين في إذربيجان[5] ،وأخذ يبشر بدينه في مختلف البلاد الفارسية[6] .

أقام المجوس طقوسهم العقائدية ومناسكهم بحرية تامة تحت مظلة السيادة الإسلامية ،وشهدت عدة أقاليم انتشاراً ملحوظاً لدور عبادتهم[7]،ويتأكد هذا الواقع الميداني بما أورده الجغرافي ابن رسته حول وجود بيت نار عظيم كان يحظى بتقديس واسع من قبل المجوس في إحدى القرى المتاخمة لمدينة حلوان ، ويقصده الناس من أقاصي البلاد للعبادة[8] .

1-عدو(بناز): أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، د.م، ط1، 2011م، ص 68.

2-الشهرستاني: الملل والنحل، ص 274.

3-عدو: أهل الذمة، ص 68.

4-القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 17.

5-إذربيجان: مدينة في بلاد فارس، الحموي:معجم البلدان،ج1، ص128.

6-عدو: أهل الذمة، ص69.

7-عدو: أهل الذمة، ص 70 – 71.

8-ابن رسته: الأعلاق النفيسة، ص 165.

ووفد إلى بغداد الكثير من المجوس الذين اشتغلوا بنقش الزجاج وتلوينه ، وزاد عدد العمال في بغداد زيادة كبيرة وكان منهم الحرفيون الذين يحترفون الصناعات اليدوية كالحدادين والخياطين والتجار والخباز و الباعة[1].

1-عدو: أهل الذمة، ص 71 ، عارف : العامة في بغداد ،ص 163.

خاتمة:

بناءً على ما تقدم ، يمكن استخلاص جملة من النتائج والرؤى التاريخية حول طبيعة العيش المشترك في تلك الحقبة الفريدة؛ حيث أثبتت الدراسة أن مفهوم المشرق الإسلامي خلال القرن الثالث الهجري لم يكن مجرد تحديد لجغرافيا سياسية جامدة، بل شكل فضاءً حضارياً وثقافياً مرناً وقادراً على الاستيعاب والتأثير. وقد انعكس هذا المفهوم بوضوح على المكون الديموغرافي للمنطقة، والذي تميز بتنوع عرقي وديني شديد التعقيد والتشابك، شكّل بدوره اللبنة الأساسية لثراء المجتمع العباسي.

وفي سياق العلاقات البينية، كشف البحث أن تفاعل المسلمين مع بقية المكونات السكانية من مسيحيين، ويهود، وصابئة، ومجوس، تجاوز فكرة التجاور المكاني السلبي إلى مرحلة الشراكة الفاعلة في بناء الدولة والمجتمع. فقد أسهم هذا المزيج البشري المتنوع في تنشيط الحركة الاقتصادية، وإثراء التمازج الإداري، وقيادة النهضة الفكرية والعلمية (لا سيما من خلال حركة الترجمة والطب والفلسفة التي برع فيها المسيحيين واليهود).

ورغم ما رصده البحث من توترات سياسية أو اضطرابات اجتماعية عارضة فرضتها بعض الظروف الاستثنائية، إلا أن النتيجة الحتمية تشير إلى أن "البراغماتية الاجتماعية" والمصالح الحياتية المشتركة كانت هي المحرك الأساسي لصياغة الهوية الجمعية للمشرق. وختاماً، تؤكد هذه الدراسة أن التعددية الدينية والعرقية في المشرق الإسلامي لم تكن عامل ضعف أو تفتيت، بل كانت مصدر قوة وتماسك،

قدمت من خلاله الحضارة الإسلامية في عصرها العباسي الثاني نموذجاً تاريخياً مبكراً لمرونة الدولة في استيعاب التنوع وإدارته بنجاح، مما يفتح آفاقاً واسعة للباحثين لإعادة قراءة هذا الإرث ومقارنته بنظريات التعددية الثقافية المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً- المصادر:

1-القرآن الكريم.

2-ابن الأثير(عزالدين الجزري ت: 630هـ): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1987م.

3-البكري(عبدالله بن عبدالعزيز ت: 487هـ): المسالك والممالك، تح:جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

4-بن جعفر(قدامة ت: 337هـ): الخراج وصناعة الكتابة، تح: أحمد حسين الزبيدي، دار الرشيد للنشر، العراق، 1981م.

5-الحموي(ياقوت بن عبدالله ت: 627هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.

6-ابن حوقل(أبي القاسم النصيبي ت:367هـ):صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، 1992م.

7-ابن رسته(أحمد بن عمر ت: 290هـ):الأعلاق النفيسة، د.د ، ليدن، د.ت.

8-الزهري(محمد بن سعد ت:230هـ): كتاب الطبقات الكبير، تح: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 ، 2001م.

9-السيوطي(جلال الدين عبدالرحمن ت: 911هـ): تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2003م.

10-الشهرستاني(محمد بن عبدالكريم ت:548هـ) :الملل والنحل، تح: أمير علي مهنا وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط3، 1993م.

11-ابن الفقيه(أحمد بن محمد ت: 290هـ): مختصر كتاب البلدان، دار صادر ، بيروت، ط2، د.ت.

12-القرطبي(يوسف لابن عبدالبر ت: 463هـ): القصد والأمم في التعريف بأصول وأنساب العرب والعجم وأول من تكلم بالعربية من الأمم، مكتبة القدسي، القاهرة، 1931م.

13-القلقشندي(أبي العباس أحمد ت: 821هـ): صبح الأعشى، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922م.

14-المسعودي(علي بن الحسين بن علي ت: 346هـ): أخبار الزمان ومن أباده من الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، دار الأندلس، بيروت، 1996م.

15-اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب ت: 292هـ): تاريخ اليعقوبي، المكتبة المرتضوية، النجف، 1358م.

ثانياً- المراجع العربية:

1-البكر(منذر عبد الكريم): الجذور التاريخية لعروبة الأحواز قبل الإسلام ، د.د ، د.م ، 1981م.

2-حسن(إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي والديني، دار الجيل، بيروت، ط4، 1996م.

3-الدخيل (سليمان): الفوز بالمراد في تاريخ بغداد، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2003م.

4-الدوري(عبدالعزيز): تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت.

5-زيدان (جرجي): تاريخ التمدن الإسلامي ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

6-سرور(محمد): تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجري، دار الفكر العربي، د.م ، د.ت.

7-سعد (فهمي): العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع الهجري دراسة في التاريخ الاجتماعي،دار المنتخب العربي، بيروت ، ط1، 1993م.

8-ضيف(شوقي): العصر العباسي الثاني، دار المعارف ، القاهرة، ط2، د.ت.

9-العاني(عبدالرحمن عبدالكريم):عمان في العصور الإسلامية الأولى ، دار الحكمة ،لندن، ط1، 1999م.

10-عدو(نياز): أهل الذمة في بلاد الكرد في العصر العباسي، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، د.م، ط1، 2011م.

11-العلاق(كاظم ستر الخلف): إدارة أقاليم المشرق في العصر العباسي الأول، دار الكتب والوثائق، بغداد، ط1، 2017م.

12-الفقي(عصام الدين): الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999م.

13-فياض(عطية): فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة دراسة فقهية مقارنة، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 1999م.

14-مسعود(جبران) : الرائد معجم لغوي عصري، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1992م.

ثالثاً-المراجع الأجنبية المعربة:

1-أرثر(كريستنس): إيران في عهد الساسانيين ،تر: يحيى الخشاب، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت.

2-بيرنا(حسن): تاريخ إيران من البداية حتى نهاية العهد الساساني، تر: محمد نورالدين، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2023م.

3-فييه(جان موريس): أحوال النصارى في خلافة بني العباس، تر: حسني زينة، دار المشرق، بيروت، ط1، 1990م.

4-متز (أدم): الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبدالهادي، دار الكتاب، العربي، بيروت، ط5، د.ت.

5-لسترنج(كي): بلدان الخلافة الشرقية، تر: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط2، 1985م.

رابعاً- الرسائل الجامعية:

1-إدريس (سماح):أثر الوضع السياسي في تباين العلاقات التجارية بين دويلات المغرب والأندلس، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ، لم ينشر، جامعة حمص ، سوريا ، 2022م، ص 83.

خامساً-المقالات:

1-عارف(رفاه تقي الدين) : العامة في بغداد في العصر الأول والثاني، مجلة جامعة بغداد، مج7، العدد25، 2012م، جامعة بغداد، العراق، 2011م.

2-العبد (نور): رسائل الرسولﷺ إلى ملوك الدول المجاورة (النجاشي-هرقل-كسرى)، مجلة جامعة حمص، العدد 41، 2017م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،سوريا، 2017م.

3-نايف(فائزة): يهود العراق وأماكن استيطانهم، مجلة كليةالآداب، العدد 101، د.ت، جامعة بغداد، العراق، د.ت.

الظروف السياسية والدبلوماسية الممهدة لمعاهد يافا (626هـ/1229م) في عهد الملك الكامل الأيوبي

تقديم: حسن فطراوي

مستخلص:

يتناول هذا البحث بالدراسة والتحليل الظروف السياسية والدبلوماسية المعقدة التي مهدت لعقد معاهدة يافا (626هـ/1229م) بين السلطان الأيوبي الملك الكامل والإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، والتي ترتب عليها تسليم بيت المقدس للصليبيين. وسعى البحث إلى تفكيك هذه الأزمة التاريخية من خلال ثلاثة محاور رئيسة؛ تتبع أولها المشهد السياسي الداخلي للجبهة الأيوبية، ورصد حالة الانقسام والصراع الأخوي المحتدم الذي هيأ الأجواء للتنازل عن المدينة المقدسة كأداة للمناورة السياسية. وناقش المحور الثاني طبيعة الاتصالات الدبلوماسية السرية وقنوات الرسائل المتبادلة بين الملك الكامل وفريدريك الثاني التي سبقت وصول الحملة. في حين ركّز المحور الثالث على مجريات الحملة الصليبية السادسة، وكيفية استثمار الإمبراطور للوعود الأيوبية السابقة لتتوج المفاوضات بتوقيع المعاهدة وتسليم القدس دون قتال. واعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي لاستنتاج الدوافع الحقيقية للطرفين، وخلصت إلى أن معاهدة يافا كانت نتاجاً لتشابك المصالح الذاتية لكل من السلطان والإمبراطور على حساب الثوابت الاستراتيجية للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: الملك الكامل الأيوبي؛ فريدريك الثاني؛ معاهدة يافا؛ بيت المقدس؛ الحملة الصليبية السادسة؛ الدبلوماسية الأيوبية

Abstract

This research examines and analyzes the complex political and diplomatic circumstances that led to the Treaty of Jaffa (626 AH / 1229 AD) between the Ayyubid Sultan Al-Kamil and the Holy Roman Emperor Frederick II, which resulted in the surrender of Jerusalem to the Crusaders. The study deconstructs this historical crisis through three main axes: The first traces the internal political landscape of the Ayyubid front, monitoring the state of division and brotherly conflict that paved the way for using the Holy City as a political bargaining chip. The second axis discusses the nature of the secret diplomatic communications and correspondence between Sultan Al-Kamil and Frederick II prior to the crusade. The third axis focuses on the events of the Sixth Crusade and how the Emperor exploited previous Ayyubid promises, culminating in the signing of the treaty and the peaceful handover of Jerusalem. Utilizing a historical-analytical approach to uncover the true motives of both leaders, the study concludes that the Treaty of Jaffa was the product of intertwined personal interests of both the Sultan and the Emperor at the expense of the region's strategic foundations.

Keywords :Al-Kamil _ Frederick II; Treaty of Jaffa; Jerusalem; The Sixth Crusade; Ayyubid Diplomacy.

مقدمة:

شهد العصر الأيوبي في مطلع القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) تحولات جيوسياسية عميقة أعادت تشكيل خريطة العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب الصليبي. ولم تكن هذه التحولات وليدة الصدفة، بل كانت نتاجاً لتداخل معقد بين التفاعلات السياسية الداخلية في الجبهة الأيوبية، والمناورات الدبلوماسية الخارجية التي قادتها القوى الأوروبية. وتُعد "معاهدة يافا" التي أُبرمت في ربيع الأول من عام 626هـ / 1229م، بين السلطان الأيوبي الملك الكامل والإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، واحدة من أكثر الأحداث إثارة للجدل في التاريخ الإسلامي والوسيط على حد سواء؛ إذ ترتب عليها تسليم مدينة بيت المقدس—بكل ما تمثله من رمزية روحية وموقع استراتيجي—إلى الصليبيين دون إراقة قطرة دم واحدة، وفي وقت لم تكن فيه القوى الصليبية في موقع القوة العسكرية الفادحة التي تؤهلها لفرض مثل هذا التنازل التاريخي.

إن فهم هذه المعاهدة وتفكيك أبعادها يتطلب قراءة متأنية في الظروف الموضوعية والذاتية التي سبقتها وهيأت لها. فقد عانت الدولة الأيوبية بعد وفاة السلطان العادل أبي بكر بن أيوب من تصدع خطير في وحدتها السياسية، وتحول البيت الأيوبي من جبهة موحدة لمواجهة الخطر الصليبي إلى ساحة للصراعات الأخوية المحتدمة بين أبناء العادل، وتحديداً بين الملك الكامل في مصر والملك المعظم عيسى في دمشق. هذا الانقسام الداخلي لم يضعف القدرة العسكرية للمسلمين فحسب، بل أدى إلى تبدل

في الأولويات السياسية؛ حيث بات الحفاظ على العروش والمصالح الضيقة مقدماً على حفظ الثغور والمقدسات، وهو ما هيأ البيئة الخصبة للتفكير في التنازل عن بيت المقدس كأداة للمناورة وبناء التحالفات الخارجية.

وفي هذا السياق المضطرب، نشطت حركة دبلوماسية مكثفة وغير مسبوقة اتسمت بالسرية التامة والمراسلات الشخصية بين القاهرة وصقلية. فقد بادر الملك الكامل، مدفوعاً بوجس الخطر من أخيه المعظم عيسى وحلفائه الخوارزمية(الأتراك)، إلى استدعاء الإمبراطور فريدريك الثاني والتلويح له بمنحه بيت المقدس مقابل تحالف عسكري يضمن له الاستقرار في مصر وجنوب الشام. هذه الاتصالات الدبلوماسية الاستباقية كشفت عن براغماتية سياسية مفرطة من كلا الطرفين، حيث كان الإمبراطور الألماني هو الآخر يمر بأزمة حادة مع البابوية في روما، وكان يرى في استعادة القدس—حتى وإن كانت استعادة سلمية ودبلوماسية—طوق نجاة سياسي يرمم به شرعيته المتآكلة في أوروبا ويواجه به قرار الحرمان الكنسي الصادر بحقه.

وعليه، جاءت الحملة الصليبية السادسة (1228–1229م) كسياق تنفيذي وتتويج لتلك التفاهمات الدبلوماسية السابقة. وعلى الرغم من تغير المعطيات السياسية على الأرض بوفاة الملك المعظم عيسى قبيل وصول الإمبراطور إلى الشام—وهو الحدث الذي كان من المفترض أن يحرر الملك الكامل من وعوده السابقة بعد زوال الخطر الأخوي—إلا أن تشابك الالتزامات الدبلوماسية، والضغط المستمر من فريدريك الثاني، والرغبة المشتركة في تجنب الصدام العسكري الشامل، قادت الطرفين إلى طاولة المفاوضات في يافا لتوقيع الاتفاقية التاريخية المفصلية.

إشكالية البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في محاولة الكشف عن الجدلية القائمة بين الصراع الداخلي والعمل الدبلوماسي الخارجي، وكيف يمكن للاستقطاب السياسي بين الأشقاء أن يدفع بالدول إلى التنازل عن مقدراتها الاستراتيجية. ويسعى هذا البحث إلى الإجابة عن التساؤلات الرئيسة التالية:

1. ما هي طبيعة الأوضاع السياسية والانقسامات الداخلية في البيت الأيوبي التي مهدت وهيأت الأجواء للتنازل عن بيت المقدس؟
2. كيف أديرت الاتصالات الدبلوماسية السرية بين الملك الكامل وفريدريك الثاني، وما هي الدوافع الحقيقية والمشتركة التي حركت كلا الطرفين؟
3. كيف وظفت الحملة الصليبية السادسة هذه المعطيات السياسية والدبلوماسية لتصل إلى غايتها بتوقيع معاهدة يافا وتسليم القدس سلماً؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كشفه عن آليات "الدبلوماسية السرية" وبراغماتية القرار السياسي في العصر الأيوبي، من خلال رصد أثر الخلافات الأسرية الداخلية في توجيه العلاقات الخارجية وتشكيل مصير المقدسات. وتكتسب الدراسة قيمتها الأكاديمية من إعادة قراءة معاهدة يافا (626هـ/ 1229م)

برؤية تحليلية تتجاوز السرد التقليدي للحدث العسكري، لتسلط الضوء على تشابك المصالح والظروف الذاتية لكل من السلطان والإمبراطور. كما يثري البحث المكتبة التاريخية بتفكيك الجدلية التاريخية حول تسليم بيت المقدس سلماً، ويقدم نموذجاً تفسيرياً لكيفية تحول الرموز الدينية إلى أدوات للمناورة والتوازنات السياسية الدولية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تفكيك الجذور السياسية الكامنة وراء معاهدة يافا (626هـ/1229م)، من خلال تتبع أثر الصراعات البينية في البيت الأيوبي وأثرها في إضعاف جبهة المقاومة الإسلامية. كما يسعى إلى تسليط الضوء على طبيعة الدبلوماسية السرية والقنوات التفاوضية التي دارت بين الملك الكامل وفريدريك الثاني ومحاولة فهم الدوافع البراغماتية المشتركة بينهما. ويطمح البحث إلى تحليل سياق الحملة الصليبية السادسة وكيفية استثمارها لتلك التفاهمات المسبقة، وصولاً إلى تقديم رؤية نقدية متوازنة لآلية تسليم بيت المقدس سلماً للصليبيين بناءً على تقاطع المصالح الدولية آنذاك.

حدود البحث:

تمثل الحدود الزمانية للبحث في الحقبة التاريخية الممتدة ما بين عامي (615-626هـ / 1218-1229م)، وهي الفترة الحرجة التي تبدأ بتولي الملك الكامل سلطنة مصر وتصاعد الصراع الأخوي في البيت الأيوبي، وصولاً إلى مجريات الحملة الصليبية السادسة وتوقيع معاهدة يافا، وتنحصر حدوده المكانية في إقليمي مصر وبلاد الشام (تحديداً القاهرة، دمشق، يافا، وبيت المقدس) باعتبارها المسرح

الرئيس للأحداث والمفاوضات، مع امتداد دبلوماسي يربط هذه المنطقة بالبلاط الإمبراطوري لفريدريك الثاني في جنوب أوروبا (إيطاليا وصقلية).

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي ، حيث سيتم سرد الوقائع التاريخية بالاستناد إلى المصادر الأولية لتتبع التسلسل الزمني للأحداث ، وبالتوازي سيتم استخدام أداة التحليل السببي لربط الأسباب بالنتائج.

أولاً . الظروف والمحددات السياسية الممهدة لتسليم بيت المقدس:

يعزى فشل الحملة الصليبية الخامسة بشكل أساسي إلى تحالف أبناء الملك العادل بعد وفاته، وكذلك التنسيق فيما بينهم لمواجهة الأخطار المحدقة بسلطانهم، إلا أن تلك الحالة من الارتباط لم تستمر طويلاً، فمجرد انتهاء الحملة أصبح العداء والتآمر سيد العلاقات بين الأبناء، وذلك بسبب الأطماع والرغبة في زيادة السيطرة والنفوذ على حساب بعضهم البعض، وكتب التاريخ حافلة بذكر مثل تلك الأطماع، حيث يذكر (سبط بن الجوزي) أنه عندما عاد الملك الأشرف سنة 620هـ/ 1223م من مصر إلى الشام التقى بالملك المعظم وعرض عليه النزول في القلعة إلا أنه رفض، ثم يذكر ابن الجوزي أن حالة من عدم الثقة كانت تسيطر على العلاقة بين الأخوة الأشرف والمعظم والكامل، كما أن الأشرف

كان بعد ذهابه إلى مصر قد عيّن أخاه شهاب الدين غازي صاحب ميافارقين[1] على خلاط[2]، وعلى جميع البلاد، إلا أن شهاب الدين طمع بالسلطة لنفسه وأراد العصيان، فطلبه الأشرف وحاول إقناعه بعدم العصيان وعدم الإستماع إلى الذين كانوا يحرضونه عليه، إلا أن شهاب الدين أصرّ على العصيان الأمر الذي أدى إلى المشاكل بين الأخويين[13].

أراد الملك الكامل ضم الشام إلى مصر، وجعل أبنه الملك مسعود صاحب اليمن ملكاً عليها، كما أن الملك المعظم واجه تآمر أخويه الأشرف والكامل اللذان كانا يسعيان إلى أخذ مملكته منه، الأمر الذي دفعه إلى التحالف مع جلال الدين خوارزم شاه ملك فارس وأذربيجان، وكذلك مع مظفر الدين كوكبري بن زين الدين صاحب أربل، ووضع المتحالفون الثلاث الخطط لمهاجمة أملاك الأشرف والكامل، وكان الأشرف لا يستطيع لوحده بمفرده مواجهة ذلك الحلف، خاصة أن الكامل في مصر بعيد عنه، وبنهاية المطاف اضطر الأشرف إلى الذهاب للمعظم في دمشق وطلب الصلح، فأقام عنده لمدة عشرة أشهر كالأسير، ولم يطلق سراحه إلا بعد أخذ تعهد منه يقضي بتقديم المساعدة للمعظم للسيطرة

---

[1] ميافارقين: أشهر مدينة بديار بكر (تركيا) ،الحموي(ياقوت بن عبدالله ت:): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج5 ، ص 235.

[2] خلاط: قصبة أرمينية الوسطى تقع في الإقليم الخامس ، الحموي: معجم البلدان ، مج3 ، ص381.

[3] سبط بن الجوزي(شمس الدين يوسف ت:654هـ):مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تح: محمد بركات، دار الرسالة العالمية، دمشق،ط1، 2013م، ج22، ص262، 263،عاشور(سعيد عبدالفتاح):مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م، ص83.

على حمص وحماة، وكذلك مهاجمة الكامل في مصر، إلا أن الأشرف بمجرّد أن أفلت من قبضة المعظم تنصّل من تعهداته وأخبر الكامل بما جرى بينه وبين المعظم[1].

ومن هنا ، يتضح للباحث مدى خطورة الأوضاع التي ألت إليها بلاد الشام جراء الخلافات العميقة بين الأخوة الملوك، والتي أضعفت شوكتهم وقوضت تماسكهم ، ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل دفعهم هذا التنافس إلى البحث عن دعم خارجي لقتال إخوانهم ، مما كبد الشام خسائر جسيمة واستنزافاً مستمراً لطاقاتها ، ظهرت آثاره وتداعياته الخطيرة بشكل جلي على المدى البعيد.

كان يسيطر على الموقف جو من علاقات التعاون والتنسيق، وقد ظهر ذلك عندما بدأ الأتراك الخوارزمية[2] يشكلون تهديداً حقيقياً على الأيوبيين[23]. حيث أن ملك خوارزم جلال الدين منكبرتي كان قد عاد من الهند إلى بلاد فارس بعد أن اضطر إلى مغادرتها هرباً من المغول، ثم دخل جلال الدين

---

[1] حجازي(فايزه): العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل (615. 635هـ/ 1218. 1238م) وفريدريك الثاني (594. 648هـ/ 1197. 1250م) من خلال المصادر الإسلامية، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج12، عد1، 2015، ص6، 7.

[2]الخوارزمية:يرجع نسب ملوك هذه الدولة إلى عبد تركي كان يسمى (أنوشتكين) ، اشتراه أحد أمراء السلاجقة في جرجستان،النويري(أحمد بن عبد الوهاب ت:733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب ،تح: نجيب فواز وحكمت فواز ،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت ، ج27، ص 177،محمود(حسن أحمد) والشريف(احمد إبراهيم): العالم الإسلامي في العصر العباسي ،دار الفكر العربي ، القاهرة،ط5، د.ت، ص 613.

[3] غنيم(اسمت): الدولة الأيوبية والصليبيون،دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995م، ص87، طقوش (محمد سهيل): تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ،دار النفائس، بيروت،ط2، 2008م، ص 324.

بغداد عنوةً سنة 622هـ/ 1225م الأمر الذي دفع بالأيوبيين إلى الإستعداد لمواجهة خطر الخوارزميين[1].

ثانياً- القنوات والاتصالات الدبلوماسية بين الملك الكامل والإمبراطور فردريك الثاني:

بسبب الصراعات المتجددة داخل البيت الأيوبي ، تطلع الملك الكامل إلى كسب تحالف سياسي متين يقوي من خلاله مركزه أمام بقية الأخوة الملوك، وقد وجد في شخص الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني ضالته، فأرسل إليه الأمير فخر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ يطلب منه القدوم إلى عكا، ووعده بتسليمه بيت المقدس والمناطق التي افتتحها صلاح الدين، وكان السبب المباشر لفعلة الكامل تلك هو أنه أراد أن يضغط على أخيه المعظم ليدخل في طاعته[2]. وفي هذا السياق يشير صاحب كتاب(ذيل مرآة الزمان) إلى أن الملك الكامل ندم على مراسلته للإمبراطور الألماني وذلك بعد موت الملك المعظم، إذ رأى أنه لم يعد للكامل حاجة من مجيئه[3].

نتج عن اتصال الكامل بالإمبراطور الألماني زيادة في إرباك المشهد في الشام ومصر، ودفع إلى إعادة تموضع الملوك والأمراء فيما يخص تحالفاتهم، فبمجرد وصول الخبر إلى مسامع المعظم

---

(1) ابن واصل(محمد بن سالم ت: 697هـ):مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين شيال وآخرون ، دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة، 1957م ،ج4، ص143. 146.

(2) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4، ص206، 207.

(3) اليونيني(قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد اليونيني ت 726 هـ): ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ط2، 1413هـ . 1992م، ج2، ص125.

سارع بالاتصال بالسلطان جلال الدين الخوارزمي طالباً منه النجدة على الكامل مقابل أن يخطب له ويضرب السكة باسمه، فأرسل جلال الدين إليه خلعة وقطع الخطبة للكامل في دمشق، أما الكامل فلما بلغه ذلك جهّز جيشاً وأراد الخروج به من مصر إلى الشام، وقبل الوصول جرت مراسلة بين الأخوين عبّر فيها المعظم عن ولائه ومحبته للكامل، وذكره بأنه أول من قام بنجدته في مصر، فرجع الكامل إلى مصر وشن حملة إعتقالات طالت شخصيات عدة ثبت تورطها بإجرائها مراسلات مع المعظم، وفي هذه الأثناء سنة 623هـ/ 1226م، وصل مبعوث الإمبراطور فريدريك إلى الكامل، محملاً بالهدايا الثمينة والغريبة بنفس الوقت، وقد تلقى الكامل الهدايا بنفسه وأكرم المبعوث أحسن إكرام، ثمّ أرسل شخص يدعى جمال الدين بن منقذ الشيزري إلى الإمبراطور محمّلاً بهدية ثمينة، فاقت قيمتها أضعاف قيمة هدية الإمبراطور[1].

لم يكتفي الإمبراطور فريدريك الثاني بمراسلة الكامل فقط، بل إن رسوله بعد أن قابل الكامل ذهب لمقابلة المعظم طالباً منه الموافقة على تسليم ما كان قد اتفق مع الكامل على تسلّمه، إلا أن جواب المعظم كان جواباً غليظاً، إذ قال للرسول: " قل لصاحبك: ما أنا مثل الغير، ما له عندي سوى

[1] المقريزي(أحمد بن علي ت:845هـ): السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1997م ،ج1، ص345،الحايك (منذر): العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ،تق: سهيل زكار ،الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2006م، ج1 ،ص238.

السيف "، وكان من الممكن أن يشكل المعظم تهديداً لحملة فريدريك لو لا أنّ الموت قد عاجله سنة 624ه/ 1227م[1].

وبصفة عامة ، بادر المعظم باتخاذ سلسلة من الإجراءات العدائية ضد الإمبراطور فريدريك، كان منها: إرساله الجواسيس إلى صقلية لرصد أخبار الامبراطور وتحركاته، والقيام بتجهيزات عسكرية لحماية القدس، إلا أن الموت كان أسرع، فخلف الأعظم أبنه الناصر داوود، الذي وقعت بينه وبين عمه الكامل عداوة وأراد الكامل أخذ ممتلكات الناصر، ثم قام الملك الأشرف بلعب دور الوساطة لتهدئة الأجواء[3]

ثالثاً- أحداث الحملة الصليبية السادسة وتداعيات معاهدة يافا (626ه/ 1229م):

تصنف الحملة الصليبية السادسة كواحدة من أكثر الحملات الصليبية تميزاً واستثناءً في تاريخ المشرق الإسلامي ،ويعود ذلك إلى عدة عوامل أبرزها: كانت تتألف فقط من ستمائة جندي، وثانياً: أنها حصلت من دون قتال ومن دون إهراق قطرة دم واحدة، وقد جاء في خبر هذه الحملة أن فردريك الثاني، قائد تلك الحملة وهو امبراطور ألمانيا والصقليتين (صقلية ونابولي) كان قد وقّع سنة 626ه/ 1229م اتفاقية مع الملك الكامل استولى بموجبها على بيت المقدس من دون قتال[2].

---

[2] سبط بن الجوزي: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج22، ص284. [3]حجازي: العلاقات الدبلوماسية، ص8.

[2] العبادي(أحمد مختار): في التاريخ الأيوبي والمملوكي ،مؤسسة شباب الجامعة ، مصر، د.ت، ص79، عاشور(سعيد عبد الفتاح): الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي، العدد 11، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية،1963م، ص 203.

أصرت الباباوية على إرسال حملة صليبية جديدة إلى المشرق بعد فشل الحملة الصليبية الخامسة، وقد عرض البابا هونوريوس الثالث على الإمبراطور فريدريك الزواج من إيزابيل أبنة حنا دي بريين ملك القدس بعد وفاة زوجة الإمبراطور السابقة، وكان ذلك العرض لتشجيع الإمبراطور التوجه إلى الشام، كما أن البابا تعهد بمبلغ مالي للإمبراطور عند توجهه إلى الشرق، وقد ماطل الإمبراطور بتنفيذ رغبة البابا، وبقي كذلك حتى وفاة البابا هونوريوس الثالث وإستلام بابا جديد هو جريجوري التاسع وكان ذلك سنة 625هـ/ 1227م، وقد أصرّ البابا الجديد على تنفيذ ما كان البابا القديم يعمل عليه، فلم يجد الإمبراطور فردريك الثاني هذه المرة مهرباً من التنصل من ذلك، خاصة أن البابا قد هدده بعقوبة الحرمان، عندها عزم الإمبراطور سنة 625هـ/ 1227م الخروج إلى الشام إلا أن المرض دفعه إلى تأجيل الخروج إلى العام التالي[1].

أما عن العلاقات بين بين ملوك الأيوبيين فقد وصلت إلى أدنى مستوى من التوتر والصراع في مستهل العام 626هـ/ 1228م، كما أن واقع الحال قد تغير، خاصة أن الملك المعظم كان قد مات، ولذلك فإن موقف الكامل من الصليبيين تغير، وأصبح أكثر تشدداً اتجاههم، كما أن المسلمين اجتمعت كلمتهم على عدم التفريط بالمدن التي كان قد فتحها صلاح الدين، مما دفع ذلك إلى قيام نوع من

---

[1] حجازي: العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل (615. 635هـ/ 1218. 1238م) وفريدريك الثاني (594. 648هـ/ 1197. 1250م) من خلال المصادر الإسلامية، ص5، 6،مونروند (مكسيموس): تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، تر: مكسيموس مظلوم ،دير الرهبان الفرنسيسكان ، القدس، 1875م ،ج2 ، ص268،رانسيمان (ستيفن): تاريخ الحملات الصليبية ، تر: نور الدين خليل ،الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، مصر،2000م ،ج3 ، ص223.

المصالحة بين ملوك الأيوبيين، ثم تمّ الاتفاق على تسليم بيت المقدس للصليبيين فقط، وبقاء بقية المدن بيد المسلمين[1].

لم يستطع الملك الكامل بنهاية المطاف التنصل من وعوده السابقة للإمبراطور فريدريك الثاني، فاضطر أخيراً إلى التفاوض معه ومن ثمّ تم الإتفاق على جملة من الترتيبات سميت بمعاهدة (يافا629هـ/ 1229م)، و يمكن جمعها بالتالي:

1. تسليم القدس للصليبيين، على أن تبقى أسوارها مهدّمة، بالإضافة إلى الناصرة وبيت لحم واللد وعكا وغيرها من المناطق[2].

2. يتعهد الصليبيون بعدم المساس بقبة الصخرة وكذلك الجامع الأقصى، ولا يدخلها إلا للزيارة، ويتولى شؤونها المسلمون.

---

[1]أبو الفدا (إسماعيل بن علي ت:732هـ): المختصر في أخبار البشر ،تح: محمد زينهم وآخرون ،دار المعارف، القاهرة، ط1، د.ت ،ج3 ، ص 141،ابن الوردي (عمر بن المظفر ت:749هـ): تاريخ ابن الوردي ،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1996م، ج2 ، ص147، الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت: 876هـ) : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح: ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1978م، ص311.

[2] العيني (بدر الدين محمود العيني ت: 855هـ): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان – العصر الأيوبي، تح: محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د.ت، ج4، ص204، الحموي: التاريخ المنصوري ، ص 176.

3. جميع القرى التابعة للقدس تبقى بيد المسلمين، ويسمح للمسيحيين دخول المناطق المقدسة للعبادة، على ألا يحملوا خلال دخولها السلاح، كما أنه ممنوع عليهم السكن داخل تلك المدن بل عليهم مغادرتها فور إنتهاء شعائرهم الدينية[1].

4. بعض القرى على طريق عكا . القدس تكون بيد الصليبيين ضماناً لسلامتهم.

ثم بعد ذلك حلف الكامل والامبراطور على ما تم الإتفاق عليه ضمن الشروط سابقة الذكر، وعقدوا الهدنة لمدة عشر سنوات،[2] ومن ثم أفرغ الكامل القدس من المسلمين وتمّ تسليمها للصليبيين[1].

شكلت واقعة تسليم القدس للإمبراطور فريدريك صدمة عميقة نفوس المسلمين، خاصة بسبب ما عدوه تهاوناً ورضوخاً من قبل الكامل للصليبيين، وقد روى (سبط بن الجوزي) حادثة عبر فيها عن حالة الضعف التي ظهر بها الكامل، إذ قال بما معناه أن الكامل كان قد أمر قاضي نابلس بأن يأمر المؤذنين بأن لا يصعدوا المنابر ولا يؤذنوا ما دام الإمبراطور في القدس، وقد نسي القاضي إعلام المؤذنين بذلك، فصعد أحدهم في وقت السحر إلى المنبر وجعل يقرأ آيات مختصّة بالنصارى، وصادف

---

[1]حسين (حمدي محمد): تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2000م، ص 119،زيدان (عبد السلام): قطع الأسطول الأيوبي وأسلحته في عهد صلاح الدين(564-589هـ/1169-1193م)،مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية، العدد24، 2019م،كلية الاداب والعلوم الإنسانية، سوريا، 2019م،ص117.

[2] حجازي: العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل (615. 635هـ/ 1218. 1238م) وفريدريك الثاني (**594.** 648هـ/ 1197. 1250م) من خلال المصادر الإسلامية ، ص10، 11.

وقتها أن الإمبراطور كان في منزل قاضي نابلس، فلما طلع الفجر استدعى القاضي المؤذن وأبلغه عن عدم تكرار ذلك. ولما كان اليوم التالي لم يصعد المؤذن إلى المنبر، فلما طلع الفجر استدعى الإمبراطور القاضي وسأله عن أمر ذلك المؤذن وعن عدم سماع صوته كما كان في الليلة السابقة، فأخبره القاضي أن الكامل قد أمر بذلك، فاستغرب الإمبراطور وطلب منه أن لا يغيرون في شعائرهم ودينهم شيئاً لأجله[1].

تأسيساً على ما سبق، يستنتج الباحث أن معاهدة يافا لم تكن مجرد إتفاقية دبلوماسية عابرة، بل شكلت صدمة نفسية وسياسية كبرى في الوجدان الإسلامي جراء التنازل عن بيت المقدس دون قتال، ورغم الشروط المقيدة التي وضعت على السكان والتحصينات ، ورغم المظاهر البروتوكولية التي أبداها الإمبراطور فريدريك الثاني تجاه الشعائر الإسلامية كمحاولة لتهدئة الأوضاع ، إلا أن المعاهدة عمقت حالة الشرخ والانقسام داخل البيت الأيوبي ، وأظهرت مدى خطورة تغليب المصالح السياسية الضيقة على الثوابت والمقدسات.

[1] الحنبلي : شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، ص 312 ، كرد علي(محمد بن عبد الرزاق ت: 1372ه): خطط الشام، مكتبة النوري، دمشق ،ط3، 1983م ،ج2، ص88، 89،عبدو (محمد):دور الإمبراطور فريدريك الثاني في الحروب الصليبية (609-648ه/ 1212-1250م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام ،لم ينشر، جامعة حمص،2021م،ص 157.

خاتمة:

شكلت معاهدة يافا (626هـ / 1229م) نموذجاً فريداً لدبلوماسية الأزمات القائمة على تقديم التنازلات السيادية الكبرى مقابل الحفاظ على المكاسب السلطوية الضيقة. وقد أثبتت الدراسة أن تشرذم الجبهة الداخلية للبيت الأيوبي والصراع الأخوي المحتدم بين الملك الكامل وأخيه الملك المعظم عيسى، كان هو العامل الحاسم الذي هيأ فكرة التنازل عن بيت المقدس كأداة للمناورة السياسية والاستقواء الخارجي لحماية العرش في مصر.

وجاءت قنوات الاتصال السرية مع الإمبراطور فريدريك الثاني لتلبي مصالح مصلحية متبادلة؛ فالكامل أراد حليفاً ضد جبهة دمشق، بينما سعى الإمبراطور وراء نصر دبلوماسي سريع يرمم شرعيته المتآكلة في أوروبا ويفك عنه قرار الحرمان الكنسي دون خوض حرب استنزاف عسكرية. ورغم أن وفاة المعظم عيسى قبيل وصول الحملة الصليبية السادسة كانت كفيلة بتحرير الكامل من وعوده، إلا أن الالتزامات السياسية السابقة وضغوط الإمبراطور جعلت التراجع أمراً مستحيلاً، فجاءت مفاوضات يافا كحل وسط لتسليم المدينة سلماً مع الإبقاء على الحرم القدسي تحت السيادة الإسلامية.

وفي الختام، يؤكد البحث أن المعاهدة لم تكن نتاج انكسار عسكري بل محصلة لسياسة واقعية مفرطة قدمت المصالح الآنية على الحسابات الاستراتيجية، مما جعلها هدنة مؤقتة محكومة بالفشل أثارت غضب الطرفين ومهدت لعودة الصراع التاريخي حول المدينة المقدسة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً_ المصادر:

الحموي (ياقوت بن عبد الله ت:):

1-معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

الحنبلي (أحمد بن إبراهيم ت:876ه):

2-شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تح: ناظم رشيد،دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، 1978م.

سبط بن الجوزي(شمس الدين يوسف ت:654ه):

3-مرآة الزمان في تواريخ الأعيان ،تح:محمد بركات،دار الرسالة العالمية، دمشق، ط1، 2013م.

العيني (بدر الدين محمود ت:855ه):

4-عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تح:محمود رزق محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق ، القاهرة، د.ت.

أبو الفدا (إسماعيل بن علي ت:732ه):

5-المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم، دار المعارف ، القاهرة ، ط1، د.ت.

المقريزي(أحمد بن علي ت:845ه):

6-السلوك لمعرفة دول الملوك،تح: محمد عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1997م.

النويري (أحمد بن عبد الوهاب ت: 733ه):

7-نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

ابن واصل(محمد بن سالم ت:697ه):

8-مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تح:جمال الدين شيال وآخرون، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1957م.

ابن الوردي (عمر بن المظفر ت: 749هـ):

9-تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1996م.

ثانياً_ المراجع العربية:

الحايك(منذر):

1-العلاقات الدولية في عصر الحروب الصليبية ، تق :سهيل زكار، الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2006م.

حسين(حمدي محمد):

2-تاريخ الأيوبيين والمماليك ، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000م.

طقوش (محمد سهيل):

3-تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، دار النفائس ، بيروت، ط2، 2008م.

عاشور (سعيد عبد الفتاح):

4-مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، دار النهضة العربية، بيروت، 1972م.

العبادي(أحمد مختار):

5-في التاريخ الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، د.ت.

غنيم (اسمت):

6-الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995م.

كرد علي(محمد بن عبد الرزاق ت:1372هـ):

7-خطط الشام، مكتبة النوري ، دمشق، ط3، 1983م.

محمود(حسن أحمد) والشريف (أحمد إبراهيم):

8-العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط5، د.ت.

ثالثاً_ المراجع المعربة:

رانسيمان (ستيفن):

1-تاريخ الحملات الصليبية، تر: نور الدين خليل، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية ، مصر، 2000م.

مونروند(مكسيموس):

تاريخ الحروب المقدسة في المشرق،تر:مكسيموس مظلوم، دير الرهبان والفرنسيسكان ، القدس، 1875م.

رابعاً_الرسائل الجامعية:

-عبدو (محمد):

1-دور الأمبراطور فريدريك الثاني في الحروب الصليبية (609_648هـ/1212_1250م)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب والإسلام،لم ينشر، جامعة حمص، 2021م.

خامساً_المقالات :

حجازي (فايزة):

1-العلاقات الدبلوماسية بين الملك الكامل وفريدريك الثاني من خلال المصادر الإسلامية ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب، مج12 ، العدد 1.

عاشور (سعيد عبد الفتاح):

2-الإمبراطور فريدريك الثاني والشرق العربي، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، العدد 11، 1963م.

زيدان (عبد السلام):

3-قطع الأسطول الأيوبي وأسلحته في عهد صلاح الدين (564_589هـ/1169_1193م) ، مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية، العدد24، 2019م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،سوريا، 2019م.

أثر التحديات المناخية في تطور علم الريافة في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

(هندسة المياه الجوفية بين النظرية و التطبيق)

طالبة الدراسات العليا : سماح سالم ادريس

قسم التاريخ . كلية الآداب و العلوم الإنسانية . جامعة حمص

الدكتور المشرف : أ . د . سلمان شحادة

ملخص البحث

يتناول هذا البحث دراسة أثر التحديات المناخية في تطوير نظم المياه الجوفية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط ، حيث تعد من أهم القضايا الإنسانية المصيرية التي واجهت الإنسان في ظل توالي الكوارث الطبيعية على البلاد ،و التي شكلت تحدي للنظم الإيكولوجية . العلاقات التفاعلية بين البيئة و الكائنات الحية . و وللأنظمة الحاكمة في تلك الآونة و هددت حياة الإنسان بالخطر، إذ تلقي الضوء على الأسباب المؤثرة في تطور علم الريافة و هندسة المياه الجوفية وفي مقدمتها الكوارث المناخية التي دفعت بالذهنية المغربية بالخروج من الحلول النظرية إلى العمل و التطبيق بهدف تقويض الأزمة ، و تبيان السياسة الحكيمة التي اتبعتها الدولة المرابطية و الموحدية للتحرر من قيود الطبيعة وضمان الأمن المائي في البلاد ، فكان لابد من تدابير علاجية و وقائية للحد من تلك الظاهرة ، تمثلت بالبحث في باطن الأرض عن المياه الجوفية بالاعتماد على الخبرات العلمية وانتهت بنهضة عمرانية مائية ظهرت نتائجها في كافة المجالات الحضارية و الاقتصادية و الاجتماعية ، و أزالت شبح الكوارث الطبيعية التي عانت منها البلاد لفترات طويلة و متكررة .

كلمات مفتاحية : التحديات المناخية ،الكوارث الطبيعية ، الريافة ، الجفاف ، المياه الجوفية .

The impact of Climatic challenges in develop AlReyaffah science in The Islamic West in the middle Age

(Groundwater engineering

between the theory and application)

Research summary

This research with the study of the impact of the climate challenges in develop the groundwater system in the Islamic West

In the Middle Ages , as it is considered one of the most important and Crucial humanitarian issues faced by humans in light of successive Natural disasters on the country which posed a challenge to the ecological

Systems and ruling regimes at the time and threatened human life with danger , it sheds light on the reasons affecting the development of Al – Ryyafah science and groundwater engineering most not ably the climate disasters that pushed the Moroccan mentality to move away from the theoretical solution to action and application with the aim of undermining the crisis , explaining the wise policy followed by Almoravid and Almuwahidi states liberate themselves from the restrictions of nature and

ensure water security in the country , it was necessary to take remedial and preventive measures to reduce this phenomenon which was represented by searching underground for groundwater based on scientific expertise and ended with a water urban renaissance results appeared in all cultural , economic and social fields and removed the specter of natural disasters from which the country suffered for long and repeated periods .

Keywords : the challenges of climate , the natural disasters ,Alreyaffah , abruptness ,inside water

مقدمة:

شكّل إقليم الغرب الإسلامي بعدوتيه المغربية و الأندلسية على مر العصور بيئة خصبة للكثير من التحديات و المتغيرات المناخية و يأتي في مقدمتها الجفاف ، و التي فرضت واقع أساسه (التحدي و الاستجابة)، فرغم ما تمتعت به بلاد الغرب الإسلامي من مزايا طبيعية و مناخية و جغرافية جعلتها من أهم المراكز الحيوية إلا أنها كانت من أكثر البلاد عرضة للكوارث الطبيعية و تقلبات المناخ ، حيث شهدت الفترة المدروسة تصاعداً ملحوظاً في المحن الطبيعية لاسيما الجفاف و ما يتبعه من كوارث اقتصادية و إنسانية و أوبئة و مجاعات هددت المصير و الوجود الإنساني في تلك الفترة ، و ألقت على كاهل السلطات الحاكمة عبئاً لا يمكن التخلص منه إلا باتباع سياسة إصلاحية حكيمة و مستدامة للتحرر من قيود الطبيعة التي فرضت واقعاً مأساوياً على البلاد تطلب توحيد الجهود بين كافة القوى المؤثرة في الحكم (الدولة و الفقهاء) من خلال تعزيز مظاهر التكافل الاجتماعي بين مختلف فئات المجتمع كونها مشكلة اجتماعية عامة فتوجهت الأنظار إلى الاهتمام بالثروة المائية التي تعد من أهم أركان الحضارة الإنسانية .

و تنبّه لأهمية المياه العديد من المؤرخين وعلى رأسهم ابن خلدون . مؤسس علم العمران البشري . ، فأوردوا في مصادرهم العديد من الشروط الواجب اتباعها عند اختيار موقع كل مدينة وتخطيطها ، حيث اجتمعت آرائهم على شرط توافر المياه لقيام المدن و الحضارات ، هذا الفكر الإسلامي كان على وعي تام بأن توافر المياه من أسباب العمارة وازدهارها وندرته من أسباب انحلالها و ضعفها ، لذلك أولى المسلمون عناية كبيرة للثروة المائية ، وحاولوا استغلالها للصالح العام بمختلف الطرائق و التقنيات ، ومنذ دخول العرب المسلمين المغرب العربي الإسلامي و بلاد الأندلس شهد الإقليم بأكمله حركة تمدّن واسعة وشاملة بدءاً من الفتوحات الإسلامية وما رافقها من التأثر بتيارات وهجرات أدت إلى حدوث تلاقح حضاري في مختلف المجالات لاسيما العمرانية منها ، فقد انعكس الازدهار

المشرقي على جميع نواحي الحياة المغربية والأندلسية بما فيها العمارة المائية ، خاصةً في بلاد الأندلس التي لاتزال آثارها المعمارية حيّة حتى اليوم لتعطينا فكرة واضحة عن المستوى الحضاري الذي بلغته البلاد في تلك الآونة ، ومنذ قيام دولتي المرابطين والموحدين في الغرب الإسلامي لم يغفل القائمين على الحكم عن أهمية العمران المائي نظراً لندرة المياه في تلك البقاع لذلك كان الاهتمام بالمجال المائي ضرورة تاريخية ملحّة ، فلا غرابة إذا أُدرجت " مسألة استجرار واستنباط المياه " في إطار البرنامج التنظيمي للدولتين معاً رغم غياب معلومات حولها في المصادر المعاصرة لفترة الدراسة ، حيث لم تحظَ هكذا نوع من الدراسات باهتمام الباحثين نظراً لشح الكتابات الكلاسيكية حول هذا الموضوع و إغفال المصادر تفاصيل عنها ، لذلك و استناداً إلى افتقار حقل الدراسات التاريخية إلى هكذا نوع من الأبحاث ستتناول هذه الدراسة كل ما يتعلق بموضوع الثروة المائية (الإشكاليات و الحلول) في الغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي و الموحدي (5 . 7 هـ / 11 . 13 م) وطرق استغلالها لتلبية حاجة الإنسان و كل ما يتعلق بتشريع المياه بالدين والعرف و القانون ، كذلك لابد من الإشارة إلى المنشآت المائية و الاستخدامات التقنية المتّبعة للانتفاع بهذه الثروة الحيوية.

هدف البحث :

يهدف البحث إلى جمع كافة القرائن وتوظيف مختلف المصطلحات المتعلقة بموضوع التحديات المناخية و البحث في ثنائية (الجفاف المناخي و المياه) و أثرها في توجيه السياسة الإصلاحية لكل من الدولتين المرابطية و الموحدية في الغرب الإسلامي و تبيان الطرق المعتمدة من قبل الدولتين في مواجهة تلك التحديات وفي هذا الإطار تركزت سياسة الدولتين في تأمين مصادر مائية جديدة يأتي في مقدمتها استنباط المياه الجوفية و استجرارها وآثار ذلك على الدولة و المجتمع بالاعتماد على كتب الجغرافية و الرحلات و الفقه و النوازل بالإضافة إلى قلة قليلة من البحوث الأكاديمية التي عُنيت بدور المياه الحضاري في الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط .

منهج البحث :

لقد اعتمدت في هذا البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي و التحليلي في دراسة المصادر و الأصول الكتابية و المراجع العلمية من أجل الوصول إلى نتائج و حقائق علمية صحيحة ، و استقراء كافة المعلومات فيها و تحليلها و قراءة ما بين سطورها لاستنباط رؤية جديدة في مجال دراسة هندسة المياه في الغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي و الموحدي ، و السبل و الطرق المعتمدة من قبل الدولتين لمواجهة التحديات المناخية و على رأسها الجفاف و حلّ مشكلة ندرة المياه و التصدي للكوارث الطبيعية ومدى فعاليتها.

إشكالية البحث :

يعد الجفاف و ندرة المياه وعدم توافرها من أبرز التحديات الطبيعية التي واجهت مجتمع الغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط ، وفي ظل تطور الدولة وتوسعها كان لابد من البحث عن مصادر مائية جديدة تتلاءم مع طبيعة التطور الحاصل في البلاد ، إذ لم تعد المصادر التقليدية تلبي حاجة السكان مع التزايد السكاني واتساع رقعة البلاد فضلاً عن الكوارث الطبيعية التي مرّت بها البلاد خلال تلك الفترة ، وعلى ضوء هذه المعطيات فإن الإشكالية التي بُني عليها البحث تتمحور حول ما يلي : 1 . مفهوم علم الريافة " المياه الجوفية " خلال العصر الوسيط

2. ماهي أبرز التحديات المناخية التي أثرت في التوجه للاهتمام نحو استخراج المياه الجوفية ،هل عرف انسان مغرب العصر الوسيط تقنية استنباط المياه الجوفية ؟

3. ما هي أشكال و آليات التعامل مع المياه في الحواضر المغربية و الأندلسية القديمة منها و المستحدثة في العصرين المرابطي و الموحدي و في أي المجالات استخدمت ؟

4. كيف أثّرت التحديات المناخية في ذهنية وسلوك إنسان الغرب الإسلامي و هل مارست دوراً رئيسياً في توجيه الاهتمام بهندسة المياه الجوفية و إلى أي مدى ساهمت في تطور العمارة المائية في ظل الكوارث و الجوائح المائية و المناخية في العصرين المرابطي و الموحدي ، وما نتائج ذلك ؟

نتائج البحث :

توصل البحث إلى العديد من النتائج وهي :

أن التحديات المناخية المتتالية كانت سبباً في التحكم بالذهنية المغربية و توجيهها نحو الحلول المستدامة و بالتالي اهتم ولاة الأمر (المرابطين و الموحدين) بعلم الريافة و تطويره و استنطاق الظواهر الطبيعية للبحث عن المياه الجوفية و التحرر من قيود الطبيعة ، و كيفية إيجاد مصادر جديدة لتطويق الأزمة المناخية التي خلّفت أزمات سوسيو اقتصادية .

تضافرت العديد من الأسباب السياسية و الاقتصادية و الطبيعية التي أخرجت علم هندسة المياه الجوفية من إطاره النظري إلى التطبيق العملي على أرض الواقع و تم إلقاء الضوء عليها بالتفصيل في البحث .

و ألقى البحث الضوء على طرائق معالجة هذه الأزمة من خلال التطرق إلى السياسة العقلانية الرشيدة و المشجعة من قبل الدولتين المرابطية و الموحدية و اهتمامها بالخبرات الأندلسية في المغرب الإسلامي بالشكل الأمثل ، و بالتالي تُرجمت هذه الخبرات على أرض الواقع فتنوعت التقنيات المائية المستخدمة كالآبار و الخطارة و النواعير و الدواليب و الشادوف بالإضافة إلى بروز نشاط التخزين المائي لدى المغاربة و الأندلسيين و الشروع ببناء الصهاريج المائية و نجم عن ذلك نهضة اقتصادية شملت كل مجالات الحياة الاقتصادية كالزراعة و الصناعة و التجارة و العمران ، وأزالت شبح الكوارث الطبيعية من حياة إنسان الغرب الإسلامي (المغرب و الأندلس) فساهمت في خلق نوع من الاستقرار في المنطقة.

أولاً : مفهوم علم الريافة :

الريف في اللغة هو الخصب و السعة ، و الجمع أرياف و الريف ما قارب الماء من أرض العرب ، و الإنباط نبط الماء الذي ينبط من عقر البئر إذا حُفرت و قد نبط ماؤها ، و الاستنباط هو الاستخراج [1] ، و علم الريافة اصطلاحاً هو علم استنباط المياه الجوفية و اكتشاف مواطن المياه و كيفية استخراجها من باطن الأرض باستدلالات خاصة ، ذلك أن أدوات الكشف عن المياه كانت محدودة لذلك لجأ المهتمون بالمياه إلى الفراسة أسلوباً و استنطقوا مظاهر الطبيعة كالجبال و التراب و الهواء و النبات لأجل ذلك [2] حيث قدّموا معلومات دقيقة حول طرائق التعرف و الاستدلال على الماء الجوفي عبر عدة أمارات وفرتها الطبيعة [3] .

ثانياً : هندسة المياه الجوفية في الغرب الإسلامي بين النظرية و التطبيق :

شغلت قضية المياه مكانة واسعة في الفقه الإسلامي منذ بداية الفتح الإسلامي للمغرب و الأندلس ، حيث يلحظ المتبحر في كتب الفقه و النوازل غلبة موضوع المياه وما يتعلق به من مواضيع ثانوية . كالطهارة و السقاية وغيرها . على فكر العلماء و الفقهاء في الغرب الإسلامي منذ

[1] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين أحمد بن مكرم ت 711 هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 د. ت ، ج7 ، ص410 .

[2] صالحية ، (محمد) : " علم الريافة عند العرب " ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ، د. عدد ، 1982 م، ص 7 .

[3] فعلى سبيل المثال الجبال السود كثيرة الإنداء دالة على توافر الماء إذا كان من حجر يخالطه الطين ، و يتلوها الجبال الخضر في كثرة الماء ثم الصفر ثم الحمر ، كما أن هناك علامات تظهر على وجه الأرض تدل على وجود الماء في باطنها كالبخار إذا رأيته على الأرض بالغدوات كانت ذات ماء و إذا صدر صوت من جوف شعاب الجبال و البطاح مثل صوت دوي الريح فكانت ذات ماء أما بالنسبة للنبات الدال على الماء فوجود البقلة الحمراء و البردي و عنب الثعلب و الحبق النهري و كرفس الماء و حشيشة تشبه البنفسج طيبة الرائحة عذبة المذاق و العوسج و الحرشف و عنب الحية و السوس و البطم و السعد و اللبلاب و إكليل الملك و الحنظل و الكرنب البري و عصا الراعي ، الكرخي (أبو بكر محمد بن الحسن عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي) : كتاب إنباط المياه الخفية ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ط1 ، 1359 هـ ، ص 12 ، 14 .

القرون الأولى ، حيث تناولت في متونها كل ما يتعلق بموضوع المياه بما فيه قضية استغلال المياه و حسبنا بذلك الموطأ للإمام مالك (ت 179 هـ / 795 م) ، و سحنون (ت 240 هـ / 854 م) في مدونته تناول مواضيع هامة تتعلق بالشرب و الوضوء و الطهارة و السقاية ، بيد أن قضية العمران المائي لم تكن ظاهرة في مصادرهم ، لكن رغم ذلك ظلت هذه المصادر مرجعيات أساسية لفقهاء العصر الوسيط الذين في عهدهم طُرحت القضية المائية كمسألة عمرانية ، إذ نلحظ معالجة العديد من الفقهاء لعدة مواضيع تتعلق بدور المياه الحضري و الريفي و طرق توزيعها و استغلالها ، نذكر على سبيل المثال ما أورده الداودي (ت 402 هـ / 1011 م) ، إلى جانب ما قدّمه الكرجي . المتوفى في القرن الخامس الهجري . في كتابه إنباط المياه الخفية و الذي يعد موسوعة غنية بكل ما يتعلق بالمياه الجوفية و أماراتها حيث جمع بين الهندسة العلمية و البرهان الرياضي حتى أنه تُرجم لعدة لغات نظراً لأهميته ، و أبو العباس الفرسطائي (ت 504 هـ / 1110 م) في كتابه القسمة و الأرضين حيث تناول فيه كل ما يتعلق بفقه العمارة الإسلامية [4] ، و ابن رشد الحفيد (ت 520 هـ / 1126 م) في كتابة البيان و التحصيل و الشرح و التوجيه و التعليل في مسائل المستخرجة و الذي تناول فيه مسائل عامة كالطهارة و السدود و الأنهار و الجوائح و ما يتعلق بمياه المغارسة و المزارعة وغيرها الكثير، كل ذلك يدعو القارئ للتساؤل حول الأسباب التي جعلت المياه محوراً رئيسياً في الفقه الإسلامي خاصةً في المغرب و الأندلس خلال الفترة المدروسة ، و أين هي من التطبيق العملي على أرض الواقع ؟

[4] عمارة (علاوة) : مغرب أوسطيات ، مؤسسة حسين رأس الجبل ، ط1 ، 2011 م ، ص 178 - 179 .

لاشك أن البحث في هندسة المياه في الغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي و الموحدي هو ضرب من ضروب المغامرة ، فالمطلع على المصادر المعاصرة لفترة الدراسة يلحظ غياب أية معطيات دقيقة تتعلق بالعمران المائي يمكنها أن تُسعف الباحث في دعم الموضوع بالأدلة و البراهين في ظل غلبة الحدث السياسي عليها . باستثناء المصادر الفقهية التي تناولت الجانب النظري منها فقط و التي لم تتجاوز الحلول و الفتاوى للنزاعات و الخلافات حولها من أجل الحفاظ على السلم الاجتماعي في المجتمع ، انطلاقاً من ذلك سنحاول تكوين صورة عن التطبيق العملي لهندسة المياه الجوفية في الغرب الإسلامي خلال العصرين المرابطي و الموحدي من خلال البحث في العوامل التي دفعت بالتحول من الحالة النظرية إلى التطبيق العملي في هندسة المياه الجوفية ، بالإضافة إلى لم شتات النصوص المصدرية لا سيما الجغرافية منها المعاصرة لفترة الدراسة و ما جاء فيها من إشارات مصدرية وقعت سهواً يمكنها أن تخضع للدراسة و التحليل التاريخي ، و مطابقتها مع ما جاء في الفكر الخلدوني و النصوص النوازلية .

حقيقةً تضافرت و تكاثرت العديد من العوامل الحضارية و السياسية و الاقتصادية و الطبيعية التي دفعت الإنسان المغربي للجوء إلى البحث عن مصادر مائية جديدة ، لكن العوامل الطبيعية لاسيما المناخية منها لعبت دوراً رئيسياً في هذه المرحلة ، فمن المعروف أن إقليم الغرب الإسلامي تمتع بمزايا

طبيعية و جغرافية و مناخية متنوعة جعلت البلاد مركزاً حيوياً مهماً [5] ، إلا أنها كانت من أكثر البلاد عرضةً للجوائح [6] ، حيث تطالعنا المصادر المتاحة على اختلاف أنواعها بالعديد من الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها البلاد خلال العصرين المرابطي و الموحدي و تنوعت ما بين الجفاف و القحط [7] ، و الأوبئة [8] ، و المجاعات [9] ، و الطاعون [10] و الجراد [11] ، كل هذه الكوارث شكلّت تحدياً لإنسان المغرب في العصر الوسيط كونها كانت متعاقبة و متوالية ، لكن يبقى الجفاف و ما يعقبه من قحط و مجاعات من أكثر الكوارث التي تعرضت لها البلاد ، و التي أثرت بشكل كبير على الإنتاج الزراعي . و من المعروف أن الزراعة تعد عماد الاقتصاد المغربي . فعليها تقوم الأنشطة الاقتصادية الأخرى كالصناعة و التجارة ، ومما لا شك فيه أن العنصر المائي شكل موضوع رهانات كبرى فهو عصب

[5] ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت 367 هـ) : صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ط ، 1992 م ، ص 104 ؛ المقري (أحمد بن أحمد ت 1041 هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د . ط ، 1968 م ، مج 1 ، ص 130 .

[6] الجوائح : مفردها جائحة و في اللغة هي الآفة و كذا المصيبة التي تحل في مال المرء و هي الآفة التي تصيب الثمر من حر أو برد و المراد بالجائحة في المفهوم الفقهي هي كل ما لا يستطاع دفعه من الآفات إن عُلِم به سواء كان بفعل الأدمي كالجيوش و اللصوص أو بغير فعله كالبرد و الحر و الثلج و المطر و الجراد و نحو ذلك ، حماد (نزيه) : معجم المصطلحات المالية و الاقتصادية في لغة الفقهاء ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 2008 م ، ص 161 .

[7] الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت 900 هـ) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، د. ط ، د. ت ، ص 458 ؛ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت 630 هـ) : الكامل في التاريخ ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 م ، ج8 ، ص 248 .

[8] ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1973 م ، مج 1 ، ص113 ؛ ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي توفي في منتصف القرن السابع هجري) : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح : محمود مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990م ، ص 217 .

[9] ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد ت 712 هـ) : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 2013 م ، ج3 ، ص 284 .

[10] ابن عذارى : المصدر نفسه ، ج3 ، ص 237 .

[11] محمد ، (وليد) : " أثر الكوارث الطبيعية على الزراعة في بلاد المغرب و الأندلس " ، مجلة الدراسات العربية ، منشورات كلية العلوم ، جامعة المنية ، د. عدد ، د . ت ، ص 2483 .

الحياة الاقتصادية و الاجتماعية وقد شهد هذا الأخير عدة وضعيات متباينة خلال الفترة المدروسة تراوحت بين حالات رخاء خلال السنوات التي شهدت تساقطات مطرية زاخرة و حالات من الجفاف شكلت أزمة على كافة الأصعدة ، انطلاقاً من ذلك كان لا بد من توفير موارد مائية جديدة للحد من هذه الأزمات سيما بعد أن أثبتت الموارد التي وفرتها الطبيعة عدم قدرتها على احتواء الأزمات المفاجئة ، وهنا يمكننا القول إن الانعكاسات السلبية التي أفرزتها الجوائح المائية كانت سبباً في ولادة نهضة عمرانية مائية في الإقليم لضمان سلامة النظم الإيكولوجية . العلاقات التفاعلية بين البيئة و الكائنات الحية . و بقاء الإنسان ، وهو بدوره ما يفسر ما جاء به ابن خلدون في مقدمته حول العلاقة بين المؤثرات الطبيعية في الخصب و الجدب و اختلاف الناس في وسائل كسب العيش و أثرها على أحوالهم .[12]

يمكن القول إن هندسة المياه الجوفية اتخذت منحى التطبيق منذ بداية العصر المرابطي وتحديداً عند الشروع ببناء مدينة مراكش [13] . عاصمة الدولة المرابطية . رغم أنها بنيت لأسباب جيوسياسية لا تتعلق بالأزمات البيئية إلا أنه اعتمد في بنائها على نظم جوفية لتأمين مياهها ، وحسبنا

[12] ابن خلدون (ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت808هـ) : مقدمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، ط1 ، 2004 م

[13] مراكش : بالفتح ثم التشديد و ضم الكاف و شين معجمة ، أعظم مدينة بالمغرب و أجلّها ، بناها يوسف بن تاشفين في صدر سنة 470 هـ / 1077 م بعد أن اشترى أرضها من أهل أغمات ، أزقتها واسعة و رحابها فسيحة و مبانيها سامية ، العربي (اسماعيل) : المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د. ط ، د . ت ، ص 104 ، 106 .

بذلك استدعاء الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين (453 . 500 هـ / 1061 . 1107 م) لأشهر المهندسين الأندلسيين وهو عبد الله ابن يونس لتوظيف خبرته في هندسة مياه العاصمة المرابطية ، و الذي ابتكر نظام جديد يسمى الخطارة [14] لجر المياه فيها من الأماكن البعيدة في جوف الأرض بعد دراسة طبقات الأرض ، و انتهت دراسته بحفر بئر كبير على مستوى الأرض ثم إيصالها بقنوات من قاعها تسير تحت الأرض لإيصال المياه إلى جميع أنحاء المدينة ونجح بذلك و تحولت المدينة إلى حزام أخضر وكثرت فيها البساتين و الجنان و أصبح عمل معظم أهلها بالزراعة [15] ، حتى غدا هذا النظام معتمداً في العصر الموحدي أيضاً [16] ، و طُبق على العديد من المدن المغربية نذكر على سبيل المثال لا الحصر مدينة تلمسان التي استُخدمت فيها نفس التقنية الهندسية لمدينة مراكش [17] .

وبذلك تكون تقنية حفر الآبار من أولى الطرق التي اعتمدها المرابطون في سبيل استنباط المياه الجوفية ، ولعلها الأكثر و الأوسع انتشاراً في الحواضر المغربية ، وهو ما يمكن أن نستنتجه من الإشارات المصدرية التي أوردتها المصادر الجغرافية و التي تناولت وصفاً للمدن المغربية و الأندلسية حيث لا يكاد يخلو أي وصف من طبيعة المياه في كل مدينة وحسبنا بذلك ما أورده الحميري عند وصفه

[14] Qasbi .MoulayRachid : A Glimps into the water Archectural history of Marrakesh , Journal of Asian Multicultural for Social sciences study , Vol 6 , p.13

[15] Buries. Pascal : Histoire du Maghreb medival XIe – Xve siècle , Paris , Armand colin , 2013 , p. 90 -91

[16] أحمد ، (علي) : " المنجزات العربية في مجال هندسة الري و أثرها في ازدهار الزراعة و ظهور بعض المدن في العصور الوسطى " ، مجلة دراسات تاريخية ، منشورات جامعة دمشق ، العددان 115 - 116 ، 2011 م ، ص 205 ، 209 .

[17] فيلالي (عبد العزيز) : بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى للطباعة و النشر ، الجزائر ، د. ط ، 2014 م ، ص143 .

مدينة مرسى الخزر[18] ، فيقول " شرب أهلها من الآبار " [19] ، و يذكر صاحب الاستبصار أن أرض وادي بايش " كانت العرب تورد إبلها و تحفر فيها أحساءً . آبار . فتخرج ماءً عذباً " [20] ، و يشير ابن حوقل أن مدينة سبتة " ماؤها من داخلها يستخرج من آبار ومن خارجها أيضاً من الآبار شيء كثير " [21] ، و هو ما يؤكده الإدريسي حولها [22] ، والأمثلة كثيرة لسنا بصدد ذكرها إنما تبيان انتشار تقنية حفر الآبار في البلاد و اعتمادها كمصدر رئيسي لتأمين المياه ، لكن ما يؤخذ على هذه المصادر أنها اكتفت بذكر و جود الآبار دون التطرق إلى الآلية المتبعة في استنباطها ، و في هذا السياق تسعفنا إحدى الدراسات الأثرية الحديثة التي ساعدت في إيجاد بعض الحلقات المفقودة حول هذه المسألة ، حيث قدمت أبحاث بعد التنقيب في ثلاثة مواقع متباينة جغرافياً لمناجم الفضة و التي تعود للقرون (2 . 7 هـ / 8 . 12 م) و هي تغطي فترة الدراسة ، المناجم كانت (زكندر أو زجندر ، عوام ، إيمضر (

[18] مرسى الخزر : مدينة في جزيرة على البحر تقع على ساحل أفريقيا ، شرقي مدينة بونة ، وهي مدينة صغيرة عليها سور حصين و لها قصبة و حولها عرب كثير و فيها قصبة عامرة و عمارة أهلها لها صيد المرجان و المرجان يوجد بها كثيراً و هو أجل جميع المرجان الموجود بسائر الأقطار ، العربي : المدن المغربية ، ص 173 .

[19] الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص 538 .

[20] مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، تع : سعد عبد الحميد ، د. ط ، 1985 م ، ص 152 .

[21] ابن حوقل : صورة الأرض ، ص 79 .

[22] انظر العربي : المدن المغربية ، ص 90 .

فمنجم زكندر على سبيل المثال . الواقع على جبل سروا على ارتفاع 2800 م و على بعد 5 كم شمال قرية أسكادن ، و تم تقدير الإطار الزمني لنشاط المنجم في القرنين 6 . 7 هـ (12 . 13 م) و يمثل الزاد الرئيسي لتمويل دولة الموحدين بمعدن الفضة ، حيث تذكر الدراسة أنه و صل عمق الحفر و التنقيب فيه إلى عمق 150 م ، و كذلك منجم عوان . الذي يقع بالأطلس المتوسط . حيث امتد نشاط هذا المنجم منذ عهد الأدارسة حتى نهاية عصر الموحدين ، حيث وصل عمق الأشغال الباطنية فيه إلى أكثر من 200 م ، و منجم إيمضر . الواقع جنوب شرق قرية إيمضر . و صل عمق أشغاله الباطنية إلى 70 م ، و بحسب ما تم العثور عليه في منجمي زكندر و عوام من قطع و ألواح خشبية و بقايا حبال و جرار طين نجد أنها أشياء تدخل في تكوين الدواليب . آلات لاستخراج المياه الباطنية . و التي تستعمل في تفريغ الدهاليز و الآبار من المياه الباطنية ، أما منجم ايمضر اعتمد على تقنية الخطارة لاستخراج المياه الباطنية [23] ، وهذا يتطابق مع ما جاء به المراكشي عند وصفه للسوس الأقصى حيث ذكر أن زجندر أو زكندر هي مركز للفضة و أهلها كلهم يعملون بمناجمها [24] ، فضلاً عن أنها كانت من أبرز المراكز التي تنشط فيها حركة التعدين في العصر الموحدي [25] وبذلك نجد أن إنسان مغرب العصر الوسيط عمل على تكييف التقنيات المتوفرة لديه مع المعطيات الطبوغرافية

[23] العجلاوي (الموساوي) : تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة في المغرب ق 2 - 7 هـ / 8 - 12 م ، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية في جامعة الحسن الثاني، المملكة المغربية ، د. ط ، 1999م ، ص 104 ، 112.

[24] المراكشي (محيي الدين أبو محمد عبد الواحد ت 647هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصح : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ط1 ، 1949 م ، ص 361 .

[25] موسى (عز الدين) : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983 م ، ص 248 - 249 .

للمواقع الثلاث و هذا إن دل على شيء فإنه يدل على خبرة ودراية الإنسان المغربي في هذا المجال منذ ذلك الحين .

كذلك اعتمد إنسان الغرب الإسلامي على النواعير . وهي آلة لرفع الماء من الآبار أو الأنهار تعمل بقوة ضغط المياه الدافعة أصلها أندلسي و أول من اخترعها هو المهندس محمد بن عبد الله بن الحاج الإشبيلي الذي عاش في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي ، وكذلك اعتمد الشادوف . وهو تقنية لرفع المياه من الآبار باعتماد الدلو . وهي تقنيات استخدمت منذ العهد الروماني وبذلك يمكننا القول إن علماء الهندسة المائية خلال فترة الدراسة نجحوا في الاستفادة من التجارب الكلاسيكية الرومانية القديمة و أضافوا لها مجموعة من التحسينات كاختراع مجموعة من الآلات في القرن 5 هـ / 11م و القائمة على أنظمة مركبة من منشآت مجزأة و متداخلة المركز .

لم يكتفِ إنسان الغرب الإسلامي في العصر الوسيط باستنباط المياه الجوفية فحسب بل حاول الاستفادة من مياهها في أيام الجدب لذلك أكثَرَ من بناء منشآت التخزين كالصهاريج الرومانية التي اعتمدها كوسيلة لتخزين المياه السطحية و الجوفية [26] خوفاً من الجفاف ، حيث استُخدمت بشكل كبير في العصر الموحدي ، حيث أُدرجت ضمن سياسة السلطان الموحدي أبو يوسف يعقوب (580

[26] مليجي ، (سهير) : " قنوات و صهاريج المياه في الإمبراطورية البيزنطية " ، مجلة المؤرخ المصري ، القاهرة ، العدد 60 ، 2022م ، ص 78 .

. 595 هـ / 1184 . 1199 م) في إعمار مراكش حتى أطلق عليها اسم بحائر مراكش الموحدية [27] ، و كذلك المواجل و هي عبارة عن أحواض تجمع فيها المياه تقام للحفاظ على المياه من الضياع و إيصالها إلى المناطق الجافة [28] ، كل ذلك في سبيل مواجهة الجفاف و التقلبات المناخية أدى إلى تطوير علم هندسة المياه الجوفية ، إلى جانب عدة عوامل ثانوية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الأسباب السياسية لا سيما الحروب و الحصار ، فالقارئ في التاريخ السياسي و الحملات العسكرية للدولة الموحدية يلحظ اعتمادها وسيلة الحصار لإخضاع المدن و التي كثيراً ما دفعت الأهالي إلى حفر الآبار و بناء الصهاريج تحسباً لطول فترة الحصار [29] ، بالإضافة إلى عوامل حضارية يأتي في مقدمتها سيادة ثقافة الترف وهذا نجده بشكل واضح في الدولة المرابطية خلال طور قوتها و انتقالها من البداوة إلى الحضارة ، حيث نلحظ تأثر الأمراء المرابطين بالحضارة الأندلسية بشكل كبير حيث نشهد تقديرهم لجهود المهندسين الأندلسيين و إغداقهم الأموال عليهم ، واهتمامهم الكبير بالمعمار المائي الترفي في قصورهم حتى أصبحت تحاكي القصور الأندلسية في جميع مظاهرها الترفية [30] ، ومن هنا نلحظ أن الهندسة الهيدروليكية . نوع من هندسة المياه التي تُعنى بتدفق و نقل السوائل بالاعتماد على

[27] بنحمادة ، (سعيد) : " التراث الفلاحي الإسلامي في المغرب و الأندلس خلال العصر الوسيط " ، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود ، الدار البيضاء ، د . ط ، 2011م ، ص 65 .
[28] مؤنس (حسين) : معالم تاريخ المغرب و الاندلس ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط1 ، 1997 م ، ص 110 - 111 .
[29] جوبير ، (لمياء) : " الماء و الحرب في حواضر المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط " ، دورية كان التاريخية ، العدد 58 ، 2022م ، ص 66 ، 70 .
[30] حسن ، (أحمد) : " الماء و التعمير في العهدين القديم و الوسيط " ، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، د . عدد ، تونس ، 2009 م ، ص 451 - 452 .

القوة الدافعة لحركة السوائل . في الغرب الإسلامي لم تتوقف عند حد الحاجة لتأمين المياه فحسب بل تعداه الأمر للحاجات الكمالية أيضاً .

ثالثاً : نتائج تطور علم الهندسة الجوفية :

لا شك أن تطور علم هندسة المياه الجوفية و دخوله حيّز التطبيق في الغرب الإسلامي لاسيما المغرب الإسلامي عاد بأفضل النتائج على كافة الأصعدة ، لعلّ أهمها أنها نجحت في التصدي لشبح الجفاف وما يليه من أوبئة و مجاعات ، فرغم أن البلاد تعرضت لموجات من الجفاف في العديد من المناطق بعد تطبيق سياسة العمران المائي إلا أن المصادر لم تذكر أية آثار سلبية كتلك التي حدثت قبل النهوض بالعمران المائي كارتفاع نسبة الوفيات مثلاً ، أو تراجع الإنتاج الزراعي ، أيضاً يستطيع القارئ أن يلحظ وجود نهضة زراعية بعد سنوات التراجع في الإنتاج و ذلك بفضل نجاح الدولتين المرابطية و الموحدية في إيصال المياه إلى المناطق الجافة بمختلف الطرق [31] ، لعل أكثرها شيوعاً و استخداماً إلى جانب حفر الآبار هي بناء الصهاريج المائية والتي انتشرت بكثرة في العصر الموحدي في كل من مراكش و مكناسة و فاس و الرباط و التي استخدمت لأغراض زراعية و عسكرية [32] الأمر الذي ساعد في حركة استصلاح الأراضي الزراعية السياسة التي تبنتها الدولتين المرابطية

[31] مهدي ، (لميس) : " حركة الإنشاء و التعمير ببلاد المغرب خلال عصر الدولة الموحدية " ، حوليات آداب عين شمس ، مجلد 48 ، 2020 م ، ص 248 .

[32] موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، ص 182 .

و الموحدية و انتشار البحائر . البساتين . [33] ، كما ورافق النهضة الزراعية نهضة اقتصادية في كافة المجالات [34] ، و تطور لعلوم أخرى مرتبطة بهندسة المياه الجوفية و أهمها علم الأثقال و الحيل . الميكانيكا التطبيقية . في الغرب الإسلامي وهو ما كشفه مخطوط مغربي يعود للعصر الوسيط . فترة الدراسة . وجدت وثيقته في المكتبة اللورنسية بفلورنسا و الذي تضمن رسالتان في الميكانيكا التطبيقية معنونتان على التوالي كتاب الأسرار في نتائج الأفكار و الذي يصف الساعات و الحركات ، و كتاب الروايس و الرحا و الدواليب المتحركة و يعرض عدداً من الآلات الغامضة ذات الحركة الدائمة [35] ، و التي على الاغلب تم توظيفها في مشاريع استنباط المياه الجوفية ، كما و ساعد تطور علم هندسة المياه الجوفية في تلبية الحاجات الكمالية التي لازمت المنشآت العمرانية الملكية . القصور . في العصرين المرابطي و الموحدي و التي تحاكي القصور الأندلسية من حيث الحدائق و الجنان [36] .

خاتمة :

لعبت التحديات المناخية (الجفاف) دوراً هاماً في تطور علم الريافة و استخراج المياه الجوفية حيث وجهت سياسة الدولتين المرابطية و الموحدية نحو الاهتمام بالعمران المائي المستدام والاهتمام بالبحث عن مصادر مائية جديدة لتأمين المياه و إعمار الأرض ، ونظراً لما تلعبه المياه من

[33] مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، ص 187 .
[34] موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، ص 207 .
[35] Abattouy. Mohamad : Ilma athqal wa al hiyyal fi al Gharb al Islami al wasit , Hesperis - Tamuda lll2 ,2017 , p.108
[36] انظر الإدريسي (أبو عبد الله محمد الشريف ت 542هـ) : وصف أفريقيا الشمالية و الصحراوية ، تصح : هنري بيريس ، مكتبة معهد الدراسات العليا الإسلامية ، الجزائر ، د. ط ، 1957م ، ص 44 .

دور رئيسي في حياة الإنسان و لما لها من تأثير على كافة الأنشطة الاقتصادية أولتها دول مجتمع الغرب الإسلامي في العصر الوسيط عناية فائقة ، حيث أُدرجت مسألة المياه ضمن أولوياتها لاسيما بعد أن تعرضت البلاد للجوائح و الكوارث المناخية فكان لابد من إيجاد مصادر مائية ثابتة تواجه الأزمة و تضمن البقاء و الوجود ، وكحصاد إجمالي لما أوردناه سابقاً يمكننا القول :

- تضافرت العديد من الأسباب السياسية و الاقتصادية و الطبيعية التي أخرجت علم هندسة المياه الجوفية من إطاره النظري إلى التطبيق العملي على أرض الواقع ، لكن تبقى الأسباب الطبيعية (الكوارث البيئية) هي الدافع الأساسي لتطوره ، فبالإضافة لدورها السلبي الذي هددت به حياة الإنسان و اقتصاد البلاد ، إلا أنها وجّهت الأنظار نحو استنباط المياه الجوفية و استنطاق مظاهر الطبيعة من أجل ذلك للتحرر من قيودها .
- ساهم في تطور هذا العلم العديد من العوامل يأتي على رأسها السياسة العقلانية و الرشيدة و المشجعة من قبل الدولتين المرابطية و الموحدية و استغلال الخبرات الهندسية الأندلسية في المغرب الإسلامي بالشكل الأمثل ، و كانت النتيجة توسع كبير في النشاط العمراني المائي و الوصول إلى الكفاية المائية في البلاد .
- تنوعت التقنيات المائية المستخدمة ، فبالإضافة إلى التقنيات الرومانية القديمة اعتمد المغاربة على حفر الآبار بشكل أساسي و تقنية الخطارة التي أصبحت نموذجاً تطبيقياً

في كافة المدن المغربية ، بالإضافة إلى النواعير و الدواليب و الشادوف ، بالإضافة إلى بروز نشاط التخزين المائي و الشروع ببناء الصهاريج المائية ، نتج عن ذلك كله نهضة اقتصادية شملت كل مجالات الحياة لاسيما الزراعية و الصناعية و العمرانية .

و أخيراً تأتي هذه الدراسة المتواضعة لتضاف إلى قائمة من دراسات قليلة أخرى حازت قصب السبق في معالجة القضايا المائية و المناخية في الغرب الإسلامي ،لكن ما يميزها أنها الأولى من نوعها التي تناولت موضوع استنباط المياه الجوفية من الناحيتين النظرية و التطبيقية رغم ندرة المعطيات و الشواهد المصدرية ، حيث ألقت الضوء على جملة من التطورات العملية في المجال المائي و التي شكلت إعجازاً هندسياً في تلك الفترة .

المصادر و المراجع

المصادر العربية :

. ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد ت 630هـ) : الكامل في التاريخ ، تح : أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 .

. الإدريسي (أبو عبدالله محمد الشريف ت 512 هـ) : وصف أفريقيا الشمالية و الصحراوية ، تصح : هنري بيريس ، بمكتبة الدراسات العليا الإسلامية ، د " ، 1957 م .

. الحميري (أبو عبدالله محمد بن عبد الله ت 900 هـ) : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح : إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، د . ط ، د. ت .

. ابن حوقل (أبو القاسم بن حوقل النصيبي ت 367 هـ) : صورة الأرض ، منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ط ، 1992 م .

. ابن الخطيب (لسان الدين ت 776 هـ) : الإحاطة في أخبار غرناطة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2 ، 1973 م .

. ابن خلدون (و لي الدين عبد الرحمن بن محمد ت 808 هـ) : مقدمة ابن خلدون ، تح : عبد الله محمد الدرويش ، دار يعرب ، ط1 ، 2004 م .

. ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد ت712 هـ) : البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس و المغرب ، دار الغرب الإسلامي ، تونس ، ط1 ، 3013م .

. ابن القطان (أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد المللك الكتامي توفي في منتصف القرن السابع هجري) : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تح : محمود مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1990 م .

. الكرخي (أبو بكر محمد بن الحسن عاش في القرن ال 5 هـ) : كتاب إنباط المياه الخفية ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، ط1 ، 1359 هـ .

. المراكشي (محي الدين أبو محمد عبد الواحد ت 567 هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تصح : محمد سعيد العريان ، مطبعة الاستقامة ، ط1 ، 1949 م .

. ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين أحمد بن مكرم ت 711هـ) : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، د. ت .

. مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح : سعد عبد الحميد ، د. ط ، 1985 م.

المراجع العربية :

. أحمد ، (علي) : " المنجزات العربية في مجال هندسة الري و أثرها في ازدهار الزراعة و ظهور بعض المدن في العصور الوسطى " ، مجلة دراسات تاريخية ، منشورات جامعة دمشق ، العددان 115 .116 ، 2011 م .

. بنحمادة ، (سعيد): " التراث الفلاحي الإسلامي في المغرب و الأندلس خلال العصر الوسي " ، منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود ، الدار البيضاء ، د . ط ، 2011م .

جوبير ، (لمياء) : " الماء و الحروب في حواضر المغرب الأقصى خلال العصر الوسيط " ، دورية كان التاريخية ، العدد 58 ، 2022 م .

. حسن ، (أحمد) : " الماء و التعمير في العهدين القديم و الوسيط " ، منشورات كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، د. عدد ، تونس ، 2009 م .

. حماد (نزيه) : معجم المصطلحات المالية و الاقتصادية في لغة الفقهاء ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 2008 م .

. صالحية ، (محمد) : " علم الريافة عند العرب " ، مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ، د.عدد ،1982 م

. العحلاوي (الموساوي) : تقنيات استخراج المياه الباطنية في مناجم الفضة في المغرب ق 2 . 7 هـ / 8 . 12 م ، منشورات كلية العلوم الإنسانية في جامعة الحسن الثاني ، المملكة المغربية ، د. ط ، 1999 م .

. العربي (اسماعيل) : المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د. ط ، د. ت .

. عمارة (علاوة) : مغرب أوسطيات ، مؤسسة حسين رأس الجبل ، ط1 ، 2011 م

. فيلالي (عبد العزيز) : بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط ، دار الهدى للطباعة و النشر ، الجزائر ، د. ط ، 2014 م .

. محمد ، (و ليد) : أثر الكوارث الطبيعية على الزراعة في بلاد المغرب و الأندلس " ، مجلة الدراسات العربية ، منشورات كلية العلوم ، جامعة المنية ، د. عدد ، د. ت .

. مليجي ، (سهير) : " قنوات صهاريج المياه في الإمبراطورية البيزنطية " ، مجلة المؤرخ المصري ،القاهرة ، العدد 60 ، 2022 م .

. مهدي ، (لميس) : " حركة الإنسان و التعمير في بلاد المغرب خلال عصر الدولة الموحدية " ، حوليات آداب عين شمس ، مجلد 48 ، 2020 م .

. موسى (عز الدين) : النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي ، دار الشروق ، بيروت ، ط1 ، 1983 م .

المراجع الأجنبية :

-Abaltouy . Mohamad : Ilma athqal wal hiyyal fi al Gharb al Islami alwasit , Hesperis- Tamnd lll2,2017

.

-Buriesi . Pascal : Histoire du Maghreb medival XIe-Xve siècle ,paris , Armand colin , 2013

.

-Qasbi . Moulay Rachid : A Glimps into the water Archecltural history of Marrakesh ,Jornal of Asian Multicultral forsocial study , Vol 6 .